بسم الله الرحمن الرحيم

عماد الدين زنكي بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية

د .جابر سلامة المصرى*

بيت زنكي :

ينحدر عماد الدين زنكي من أصل تركي تركماني ، فكان جده عبد الله بن ترغان تركيا ينتمى إلى قبائل (الساب يو) التركمانية(١) أما والده فهو آق سنقر أبو سعيد الملقب قسيم الدولة المعروف بالحاجب(٢) . وآق سنقر هذا كان مملوكاً للسلطان السلجوقى ملكشاه بن ألب أرسلان وقيل أنه لصيقه(٣) ، أى أنه كان من المقربين لدى ملكشاه إذ تربى معه ورافقه فى مرحلتى الطفولة والصبا، حتى إذا ماخلف ملكشاه أباه فى منصب السلطنة (٤٦٥ /٤٨٥ هـ ـ ١٠٧٢ /١٠٩٢ م) صار آق سنقر من أعيان أمرائه وأخص أصدقاؤه فاعتمد عليه فى كثير من الأمور(٤) . وهكذا إرتفعت منزلة آق سنقر حتى لقب قسيم الدولة(٥) كما لقب بالحاجب(٦)مما يشير إلى علو مكانته وإلى إعتماد

---

* أستاذ مساعد التاريخ الإسلامى بكلية التربية بدمنهور ـ جامعة الأسكندرية .

(١) الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٣ ص ٣١٥ /٣١٦
إبن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب جـ ٣ ص ٣٨٠

(٢) إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٠٣ حاشية .
إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢١٧ /٢١٨

(٣) إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٠٣ حاشية .
إبن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٣ ص ٣٨٠

(٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٥٤٩

(٥) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٤
أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٥٩
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١١

(٦) الحاجب : أمير وظيفته « أن ينصف بين الأمراء والجند ، تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب ، وإليه تقديم من يعرض ومن يرد ، وعرض الجند وما ناسب ذلك » .
سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٤٠٧

ملكشاة عليه فى كثير من الأمور ، بحيث قام آق سنقر بحماية ملكشاه وربما قاسمه شئون الحكم ، ويبدو أن ذلك الوضع أثار غيرة الوزير نظام الملك وحفيظته (١).

وكان أن شارك آق سنقر فى الإستيلاء على الموصل وإنتزاعها من العقيليين سنة ٤٧٧ هـ /١٠٨٤ م وذلك عندما أوفده ملكشاه مع عميد الدولة بن فخر الدولة لإنجاز هذه المهمة(٢) . وفى سنة ٤٧٩ هـ /١٠٨٦ م إشترك آق سنقر مع السلطان ملكشاه فى الإستيلاء على حلب وأخذها من نواب العقيليين فولاه إياها(٣) تقديراً لجهوده . ولعل السلطان فعل ذلك بإيعاذ من وزيره نظام الملك الذى أراد إبعاد غريمه آق سنقر عن مركز السلطنة . وقد تسلم آق سنقر منصبه فى حلب وأعمالها مثل منبج واللاذقية وكفر طاب (٤). ثم إستطاع أن يوسع نطاق ولايته بالإستيلاء على حمص سنة ٤٨٣ هـ/١٠٩٠ م(٥) ، وحصن أفامية سنة ٤٨٤ هـ /١٠٩١ م(٦). كذلك فرض طاعته على صاحب شيزر سنة ٤٨١ هـ /١٠٨٨ م(٧) . وفى سنة ٤٨٥ هـ /١٠٩٢ م إشترك آق

---

(١) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٤
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٥٩

(٢) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٥
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٥٩
إبن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر جـ ١ ص ٣٨٢

(٣) إبن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٢٥
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٠٢ /١٠٣
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١٩ ويذكر أن هذه التولية سنة ٤٨٠ هـ

(٤) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٨
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦١
إبن واصل : مفرجالكروب جـ ١ ص ١٩

(٥) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٠
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٠٦

(٦) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢١
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٠٦

(٧) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٩ /١٢٠
إبن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٦٢
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦١

سنقر مع ملكشاه فى مهاجمة العقيليين والإنتصار عليهم قرب الموصل[1] . وهكذا إستمرت علاقة آق سنقر بالسلطان ملكشاه وثيقة[2] تتسم بالطاعة وتنفيذ أوامره[3] ، كما أن السلطان لم يستجب لوشايات ومعارضى آق سنقر[4] . ولما توفى ملكشاة سنة ٤٨٥ هـ/١٠٩٢ م وتولى السلطنة بعده إبنه بركياروق ثار عليه عمه تاج الدولة تُتش صاحب الشام وأراد السلطنة لنفسه . وفى ذلك النزاع إنضم آق سنقر إلى جانب تُتش لإعتقاده بقوة تُتش وعدم إمكانية مقاومته من ناحية ، فضلاً عن إيمانه بأن تُتش أحق بالسلطنة بسبب صغر أولاد السلطان ملكشاه . وكان قد إستطاعت قوات تُتش والأمراء المؤيدين له الإستيلاء على معظم مدن الجزيرة كالرحبة ونصيبين وميافارقين ، ثم إستولت على الموصل بعد أن إنتصرت على العقيليين فى معركة أسهم فيها آق سنقر بدور بارز ورئيسى ، وبعد ذلك إتجهت قوات تُتش إلى أذربيجان لمحاربة السلطان بركياروق ، فلما تقابل المعسكران قال آق سنقر لأحد الأمراء : إننا أطعنا تُتش لننظر ماسيقوم به أولاد صاحبنا ملكشاه ، أما الآن فقد إتضح لنا سيطرة إبنه على الحكم فلا بد أن نكون معه ، وهكذا إنضما إلى بركياروق[5] مما أدى إلى إضعاف قوة تُتش فإنسحب إلى الشام . ويقال إن من الأسباب التى

---

(١) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢١
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٢
إبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٣٢

(٢) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٨
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٥
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٣٧
البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٧٥

(٣) إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٠ /٢١
البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٥٥ /٦٦
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٥
الحسينى : أخبار دولة السلجوقية ص ٧٢
إبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٢٥

(٤) إبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٣٣

(٥) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٨٢ /٨٣
الذهبى : العبر جـ ٣ ص ٣١٠ /٣١١

دفعت آق سنقر إلى إتخاذ ذلك الموقف إستياءه من تُتش لأنه قرب إليه بعض الأمراء دونه ، كما أنه لم يوله بلداً من البلاد التى إستولوا عليها(١) .

وعندما طلب بركياروق من آق سنقر التوجه إلى حلب لإيقاف مطامع تُتش ، توجه آق سنقر إلى حلب على رأس قوة أمده بها بركياروق ، وقد تصدى له تُتش فى المعركة التى دارت بين الطرفين فى التاسع من جمادى الأولى سنة ٤٨٧ هـ /١٠٩٤ م عند تل السلطان الذى يبعد عن حلب بحوالى ١٨ ميلاً . وكان أن إنتصرت قوات تُتش ووقع آق سنقر فى الأسر فقتله تُتش . ثم إتجه إلى حلب وإستولى عليها . ولكن أحد مماليك آق سنقر العاملين فى جيش تُتش إستطاع فى العام التالى أن يغتال تُتش خلال المعركة التى جرت بينه وبين السلطان بركياروق قرب الرى والتى إنهزم فيها تُتش مما أدى إلى إستتباب الأمور لبركياروق(٢) .

أما عن أهم الأعمال الداخلية التى قام بها آق سنقر أثناء ولايته فكانت تحقيق الأمن فى شمال الشام فى عصر نشط فيه قطاع الطرق فى المنطقة ، وإنتشرت أعمال السلب والنهب مما أضر بالزراعة والتجارة . وقد قام آق سنقر بنفسه بمطاردة الحرامية وقطاع الطرق ومخيفى السبيل فأوقع بهم وإستأصل شأفهم قتلاً وأسراً(٣) ، فأخذ بصلبهم على أبواب المدينة(٤) . وكتب إلى سائر الأعمال والأطراف بتتبع المفسدين وحماية المسافرين فطورد المفسدون بكل مكان(٥) . وقد فرض على أهل كل قرية تحت نفوذه أنه فى حالة نهب إحدى

---

(١) إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٠٩

(١) إبن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٩ /١٣٠
إبن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ ٩ ص ٧٦ /٧٧ ، ٨٥
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٨٢ /٨٣ ، ٨٦ ، ٩١
التاريخ الباهر ص ١٢ /١٥
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦٥ /٦٦

(٣) إبن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٠
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٦٦
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٠٤

(٤) إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١٩

(٥) إبن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٠

القوافل أو الأفراد المارين بقريتهم فإنه سوف يغرم أهل القرية جميعاً بمقدار ماصودر من الأموال سواء كانت قليلة أم كثيرة .

وقد أدى ذلك إلى قيام أهل كل قرية بحراسة القوافل التى تمر بهم والسهر على أمنها حتى ترحل[1] . ولاشك أن هذه السياسة الحازمة التى إتبعها آق سنقر عادت بنتائج هامة إذ ساد الأمن وأمنت الطرق وإنتشر العمران[2] « وإزداد إرتفاع البلد بالواردين بالبضائع من جميع الجهات والأقطار[3] ورخصت الأسعار »[4] . وقد بلغ من سيطرة آق سنقر أنه نادى فى قرى حلب وضياعها أن لايغلق أحد بابه وان يتركوا آلاتهم الزراعية فى أماكنها ليلاً ونهاراً[5] ، مما يوضح مدى إستتباب الأمن فى المنطقة ويحقق لآق سنقر شهرة واسعة نتيجة لما قام به فى هذا المجال[6] . يضاف إلى ذلك أن آق سنقر إتبع سياسة عادلة فأحسن السيرة ونشر العدل بين رعيته[7] وأقام الحدود

---

(١) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٠
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٦
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦٦

(٢) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٠
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٨٦
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦٦
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١٩
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ص ١٠٣ /١٠٤

(٣) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٩
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٠٤

(٤) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٥
أبو شامة : الروضتين جـ١ ص ٦٦

(٥) إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٠٤

(٦) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٩ /١٢٠
إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٥
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦٦

(٧) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٩ /١٢٠
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٥٥ /٨٦
التاريخ الباهر ص ١٥
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦٦

الشرعية (١). وحسب آق سنقر أن المؤرخ إبن واصل وصفه فقال « كان عنده وفاء عظيم وحسن عهد ومروءة غزيرة ، وإنما كان قتله وفاء لسلطانه ورب نعمته ملكشاة وحفظاً لولده بركياروق من بعده »(٢) . وكان آق سنقر يتصف بالتقوى والتدين كما يدل على ذلك إهتمامه بتعمير مسجد حلب(٣) .

نشأة زنكى :

من الواضح أن آق سنقر ترك رصيداً كبيراً من الأعمال الطيبة لأبنه زنكى . ولم ينسى بركياروق تضحية آق سنقر من أجله فعني بأمر ولده (زنكى) الذى كان عند مقتل أبيه فى العاشرة من عمره مقيماً فى حلب . وكان أن إهتم بركياروق بتربيته والعناية به فشب ذلك الصبى وسط مماليك والده وأصحابه الذين كانوا يكنون الحب العميق والوفاء لآق سنقر(٤) .

ولما إستولى كربوقا(٥) على الموصل سنة ٤٨٩ هـ /١٠٩٥ م بإسم السلطان بركياروق ، أولى زنكى إهتماماً خاصاً وقال « إنه إبن أخى وأنا أولى الناس بتربيته » فأحضروه عنده ومعه ممانيك آق سنقر فأقطعهم الإقطاعات الواسعة ونظمهم تحت إمرة زنكى للإعتناء بتربيته . وإتصف هؤلاء المماليك بالشجاعة

= إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٧
إبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٤١
القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول ص ١٥٢

(١) إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١٩
(٢) إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٧
(٣) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٠
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٦٦
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٠٥
إبن واصل : مفرج انكروب جـ ١ ص ٢٠
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٤
(٤) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٥
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦٧
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٨
(٥) كان كربوقا من أنصار آق سنقر فى صراعه فى ضد تاج الدولة تُتش السلجوق الذى ثار ضد السلطان بركياروق ، وقد أدى ذلك إلى إعتقال كربوقا بعد مقتل آق سنقر ، ثم أطلق بركياروق سراحه بعد إنتصاره على تُتش .

ودية بين الطرفين حتى توترت علاقة جاولى بالسلطان محمد سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م . وكان أن هرب جاولى إلى الشام وأعلن العصيان ضد السلطان فإنفصل زنكى عن جاولى فى نفس الوقت الذى عين فيه السلطان والياً جديداً على الموصل وهو الأمير مودود بن التونتكين (٥٠٢ /٥٠٧ هـ ــ ١١٠٨ /١١١٣ م) . وقد إنشق مع زنكى مجموعة من الأمراء وإتصلوا جميعاً بالأمير مودود الذى قدر لزنكى ذلك الموقف . وكان زنكى آنذاك قد نضج فكرة وعقله وإشتهر بشجاعته مما رشحه لأن يكون من المقربين لدى مودود ، فأقطعه إقطاعات إضافية وإستفاد من شجاعته المتناهية فى حروبه(١) . وهكذا جاء موقف زنكى من عصيان جاولى ليثبت مرة أخرى مدى حرص زنكى على الولاء للسلطان السلجوقى .

وقد إشترك زنكى مع مودود فى جميع المعارك الكبرى التى خاضها ضد الصليبين فى الجزيزة والشام ، فقاتل معه على أسوار الرها وتل باشر ومعرة النعمان سنة ٥٠٥ هـ /١١١١م . كما إشترك معه فى معارك طبرية سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م . وفى تلك المعارك أظهر زنكى شجاعة أكسبته شهرة لدى المسلمين ، فى حين ظل ملازماً لمودود حتى مقتله سنة ٥٠٧ هـ /١١١٣ م على أيدى الباطنية(٢) فى جامع دمشق(٣) .

وقد أعقب مودود فى حكم الموصل الأمير جيوش بك الذى أرسل السلطان محمد معه ولده الملك مسعود . وكانت علاقة زنكى بهذا الوالى الجديد طيبة(٤) . ثم إنضم زنكى إلى الأمير آق سنقر البرسقى الذى وجهه

(١) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٦ /١٧
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦٧ /٦٨

(٢) عن مبادىء هذه الطائفة ونشاطها ، أنظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٥٣٦ وما بعدها .

(٣) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ١٨٣ /١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧
التاريخ الباهر ص ١٧ /١٩
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦٨ /٦٩

(٤) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٩
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦٩
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٩

فإستعان بعهم كربوقا فى حروبه[1] . ويقال إنه عندما توجه كربوقا إلى آمد للإستيلاء عليها ، جمع سكمان بن أرتق (صاحب حصن كيفا ٤٩٥ /٤٩٨ هـ ـــ ١١٠١ /١١٠٤ م) جيشاً كبيراً من التركمان وسار لإنقاذ آمد بناء على إستنجاد صاحبها به . ولما رأى كربوقا ضخامة جيش عدوه أخذ زنكى وألقاه بين مماليك والده وقال لهم « قاتلوا عن إبن صاحبكم » . فإرتفعت معنويات مماليك آق سنقر بوجود إبنه الصغير بينهم فى ساحة المعركة وقاتلوا بحماس . وإنتهت المعركة بهزيمة سكمان بن أرتق ، وهذه هى المعركة الأولى التى حضرها زنكى بعد مقتل أبيه ، وبعدها ظل زنكى ملازماً لكربوقا حتى وفاته سنة ٤٩٥ هـ /١١٠١ م[2] .

وبعد وفاة كربوقا بقيت العلاقة طيبة بين زنكى وشمس الدولة جكرمش الذى أعقب كربوقا على ولاية الموصل والجزيرة (٤٩٥ /٥٠٠ هـ ـــ ١١٠١ /١١٠٦ م) . وكان جكرمش من مماليك السلطان ملكشاة وعلى معرفة بخدمات والد زنكى للسلطان ملكشاة ولأبنه بركياروق لذلك توثقت العلاقات بينه وبين زنكى ـــ كما كان الحال مع كربوقا ـــ فقربه منه وأحبه وإتخذه ولداً . وظل زنكى ملازماً له وعلى علاقة قوية به حتى وفاته سنة ٥٠٠ هـ /١١٠٦ م[3] .

ولما توفى جكرمش تلاه على ولاية الموصل (جاولى سقاو) (٥٠٠ /٥٠٢ هـ ـــ ١١٠٦ /١١٠٨ م) وكانت علاقته هو الآخر طيبة بزنكى الذى كان قد بلغ مبلغ الرجال عندئذ وبدت عليه علامات الشهامة ، وبقيت العلاقة

(١) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ١٤٦
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦٧
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٨

(٢) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ١٤٦
التاريخ الباهر ص ١٦
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٨

(٣) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٦
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦٧ /٦٨
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٨

السلطان لقتال الصليبيين فى تلك السنة ٥٠٧ هـ /١١١٣ م ، فقاتل فى الرها وسميساط وسروج وأظهر شجاعة زادت من شهرته[١] . ولما عاد البرسقى إلى بغداد رجع زنكى إلى بالموصل حيث بقى فى خدمة واليها جيوش بك[٢] حتى عزل السلطان محمد جيوش بك عن الموصل وولاها آق سنقر البرسقى وأمره بتقديم زنكى والرجوع إلى رأيه لما عرف عنه من الإخلاص والقابليات[٣] .

والواقع أن زنكى ظل مخلصاً للسلطان محمد (٤٩٨ /٥١١ هـ ــ ١١٠٤ /١١١٨ م) يؤيد من يواليه ويعادى من يخرج عن طاعته حتى وفاة ذلك السلطان ، وعندئذ إستغل جيوش بك وجود إبنه مسعود تحت إشرافه (إذ كان أتا بكاً له)[٤] ودفعه إلى التوجه إلى بغداد لكى ينصب سلطان للسلاجقة هناك . وقد أراد جيوش بك من وراء ذلك أن يكون هو الحاكم الفعلى للدولة السلجوقية . وأيد زنكى تلك الخطوة فسار مع جيوش بك ومسعود وأمرائهما على رأس الجيش متوجهين إلى بغداد . ولكن المحاولة فشلت

---

(١) صار زنكى يلقب فى هذه الفترة بزنكى الشامى تمييزاً له عن أحد الأمراء المقاتلين فى الشام وهو زنكى بن برسق صاحب همذان .
إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٩
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦٩

(٢) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ١٨٩
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٦٩
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٩
إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ١٩٦

(٣) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٢٤
إبن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ٥٢
إبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٠٧

(٤) تتألف كلمة أتابك من لفظين وهما [أتا] بمعنى أب و [بك] بمعنى أمير فيكون معنى الكلمة الأمير الوالد .
إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣١٦
وكان الأتابك يُكلف من قبل السلطان الحاكم بالوصاية على واحد أو أكثر من أبنائه الذين لم يبلغوا سن الرشد ، كما تعنى مقدم العسكر والقائد العام للجيش المماليكى .
سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٣٨٧
القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٨
Gibb, The Damascas choronicle of the crusades P.P. 23-24

بعد سلسلة من الحروب فى إقليم بغداد حتى إستتب الأمر أخيراً للسلطان محمود الذى أعقب أباه فى الحكم(١) وقد حاول جيوش بك أن يثور مرة أخرى ضد السلطان محمود سنة ٥١٤ هـ /١١٢٠ م ، غير أن زنكى رفض الوقوف إلى جانبه وأشار على المتمردين « بطاعة السلطان وترك مخالفته » وحذرهم عاقبة العصيان ولكنهم لم يلتفتوا إلى قوله وأقدموا على تنفيذ مشروعهم الذى باء بالفشل بعد أن إنهزم جيوش بك ومسعود فى معركتهما ضد السلطان محمود الذى بلغه موقف زنكى منه فقدره(٢) .

لذا فإنه عندما عُزل جيوش بك عن ولاية الموصل وجعل السلطان مكانه آق سنقر البرسقى فى صفر سنة ٥١٥ هـ /١١٢١ م وأمره بالعناية بزنكى وتقديمه على سائر الأمراء والوقوف عندمشورته، فتوجه البرسقى إلى الموصل وفعل تجاه زنكى ما أمره به السلطان بل « زاد على ذلك » لما بلغه عن زنكى من العقل والشجاعة فضلاً عن شهرة والده فى أيام السلطان ملكشاة(٣) .

وفى سنة ٥١٦ هـ /١١٢٢ م عُين البرسقى شحنة(٤) على العراق ، فرافقه زنكى وإشترك معه فى المعركة التى دارت بينه وبين دبيس بن صدقة أمير الحلة عند نهر بشير ، والتى إنتهت بهزيمة البرسقى وتراجعه إلى بغداد فى ٢ ربيع الآخر(٥) .

وفى نفس السنة ولى البرسقى زنكى على واسط وأوكل له مهمة الدفاع عنها ضد هجمات دبيس بن صدقة ، وبعد وصول زنكى إلى واسط تقدم على رأس

---

(١) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٠٣ /٢٠٥

(٢) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٢٢ /٢٣

(٣) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٢٤
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٣

(٤) أطلق على نائب سلطان السلاجقة أو ممثله لدى الخليفة العباسى فى بغداد لقب شحنة وهو لقب فارسى ، أما الوظيفة نفسها فقد أطلق عليها « شحنكية بغداد » .
سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٥٤٧

(٥) إبن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ ٩ ص ٢٣٢ /٢٣٣
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٢٨ /٢٢٩
التاريخ الباهر ص ٢٤

جيشه إلى النعمانية وإستطاع أن يصد عنها جيوش دبيس وأن يستولى عليها بعد معركة عنيفة(١) .

وسرعان ماأظهر زنكى كفاءةً وحزماً فى منصبه الجديد فى واسط فضلاً عما إشتهر به من حسن سيرة . وقد رأى فيه البرسقى خير من يستطيع إحلال الأمن فى منطقة البصرة وصد هجمات الأعراب عليها بين الحين والآخر فأرسل إليه وولاه شحنكية البصرة إضافة إلى واسط وأمره بحمايتها ، فتسلم زنكى منصبه الجديد وإنتقل إلى البصرة وجعلها مقره لأنها أكثر أهمية من واسط التى كان قد قضى على الفوضى فيها ونظم أمورها ، فصار عليه أن يحقق فى البصرة ما أنجزه فى واسط . وقد إستطاع زنكى أن يوقف هجمات الأعراب على البصرة ويضع حداً لغاراتهم المتتالية فى وقت قصير فإنتقل الأعراب إلى الصحراء ، كما قضى على مظاهر الفوضى والفتن فى البصرة ، وأظهر قدرة إدارية وعسكرية مما زاد فى شهرته ومكانته(٢) .

وبلغ من قوة مركز زنكى فى جنوب العراق أن دبيس بن صدقة ـــ بما له من قوة ـــ تجنب « قصد ولايته » لأنه أدرك أن ليس فى طاقته مجابهة زنكى والتغلب عليه ، ولذا وجه جهوده ضد الخليفة فى منطقة بغداد مما يشير إلى أن مركز زنكى وقوته فاقت قوة الخليفة فى بغداد . وقد لعب زنكى دوراً هاماً فى المعركة التى دارت بين الخليفة العباسى المسترشد ودبيس بن صدقة أمير الحلة فى الأول من محرم سنة ٥١٧ هـ /١١٢٣ م عند المباركة من أعمال النيل فى منطقة

---

(١) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٢٨ /٢٢٩
التاريخ الباهر ص ٢٥
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٣٠
أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٤ ص ١٥٧
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣١

(٢) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٣
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩٠

الحلة[1] . وكان زنكى فى تلك المعركة على ميمنة قوات الخليفة[2] .

وفى بداية المعركة إستطاعت جيوش دبيس أن تقوم بهجمات موفقة ضد جيوش الخليفة حتى إضطرتها إلى التراجع مرتين . ولكن زنكى إستغل توقف جيش دبيس عن القيام بحملة ثالثة فقام بهجوم شديد بجنده من الواسطيين على جيش دبيس وأطبقوا عليهم من خلفهم وجعلوهم وسط حلقة تحيطهم من كل جانب « فأخذوا باليد وكثر فيهم القتل » . وكان البرسقى قائد الخليفة قد نصب كميناً فلما إشتد القتال ظهر فجأة ليضرب جيش دبيس من الخلف ، وهكذا إستطاع زنكى والبرسقى أن يشتتوا جيش دبيس ، فقتل وأسر الكثير من رجاله وإنهزم الباقون وعلى رأسهم دبيس . وعاد المسترشد وحلفاءه إلى بغداد[3] . وبذلك يكون زنكى قد أنقذ الخليفة من خطر دبيس الذى هدد الخلافة العباسية وكاد يعرض بغداد للنهب والتخريب[4] .

---

(1) إبن الجوزى : المنتظم جـ ٩ ص ٢٤٢ /٢٤٣
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٣١ /٢٣٢
التاريخ الباهر ص ٢٥ /٢٦
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٣ /٧٤
إبن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٠٩ /١١٠

(2) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٢٦

(3) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٨ /٢٠٩
إبن الجوزى : المنتظم جـ ٩ ص ٢٤٢ /٢٤٣
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٣١ /٢٣٢
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٣ /٧٤
إبن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٠٩ /١١٠
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٣٠
أبو الفدا : المختصر جـ ٤ ص ١٥٧
الذهبى : دول الإسلام : جـ ٢ ص ٣١
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩٠ /١٩١

(4) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٣ /٧٤
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩٠

ولم يكن تدخل زنكى فى تلك المعركة ومغادرة مقره فى البصرة إلى بغداد مقابل إلتزامات مسبقة تجاه الخليفة ، وإنما بوصفه كان عاملاً لدى الدولة السلجوقية يرتبط مباشرةً بنائبهم فى العراق وهو البرسقى ويلتزم بأوامره . وكان السلاجقة فى ذلك الدور يقفون إلى جانب الخليفة ضد دبيس . وأما زنكى فقد كان عند مغادرته البصرة قد فوض شئونها لمقدم حاميتها الأمير « سخت كان » ، فإستغل دبيس ـــ بعد هزيمته ـــ عدم وجود زنكى فى البصرة وهاجمها على حين غرة وقتل مقدم حاميتها ونهب أهلها . وبعد فترة عاد زنكى إلى البصرة ليقوم بدوره فى حمايتها[1] بعد أن إنسحب منها دبيس وإتجه إلى الشام[2] وفى نفس السنة ٥١٧ هـ/١١٢٣ م أقيل البرسقى من منصب شحنكية العراق وأعيد إلى الموصل وأعمالها مع تكليفه بمواصلة الجهاد ضد الصليبيين .

وأصبح « برنقش الزكوى » شحنة بعده[3] . فأرسل البرسقى إلى زنكى بالبصرة يستدعيه ليكون معه فى الموصل . غير أن زنكى فضل أن يربط مصيره بالسلطان ، فلم يلب أمر البرسقى بل ذهب إلى أصفهان مقر السلطان محمود[4] حيث أقام هناك هو وأصحابه . ويبدو أن زنكى لم يرـــ فى

(١) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٣٧

(٢) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٣٢
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩١

(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ٩ ص ٢٤٩
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٣٧
التاريخ الباهر ص ٢٧
إبن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ١١٢
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٤
إبن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٥٢/ ٥٣
سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٥٤٧

(٤) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٣٧
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٤
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٣٠
إبن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٥٢/ ٥٣

(١) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٣٧
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٤

البداية ـــ ما كان يرجوه من السلطان ولم يحظ بإهتمام أمرائه ، ولكن السلطان لم يلبث أن إنتبه إلى وضع زنكي ولام الأمراء على عدم الإهتمام به والإعتناء بأمره . وكان أن زوجه السلطان بأرملة أحد أمرائه الكبار ، وتم ذلك في إحتفال كبير شهده السلطان وعدد كبير من الأمراء . وهكذا أخذ زنكي يظهر في محيط كبار الأمراء(١) مما زاد من معرفة رجال الدولة السلجوقية به .

أما البصرة فقد غدت بعد مغادرة زنكي لها مسرحاً للفوضى وهدفاً للنهب والتخريب وهجمات الأعراب . وعندما بلغ السلطان ذلك أمر زنكي بالتوجه إليها وأقطعه إياها سنة ٥١٨ هـ /١١٢٤ م وطلب منه توطيد الأمن في أنحاء البصرة ، وفي الوقت نفسه كان قد بلغ السلطان محمود قيام الخليفة المسترشد بتجميع جيوشه وأنصاره لإعلان الحرب ضده . فطلب من زنكي أن يهتم بأحوال واسط والتطلع إلى معرفة أمورها . وذلك كيما يتقدم للدفاع عنها ، إذا فكر الخليفة بإرسال جيش للإستيلاء عليها(٢) . وكان أن غادر زنكي أصفهان إلى البصرة حيث باشر مهام منصبه وأحسن السياسة في أهلها وإستطاع أن يخلصهم من أخطار هجمات الأعراب ، كما قام بتوجيه بعض قواته بصورة دورية للقيام بهجمات وإعداد الكمائن ضد الأعراب . وبذلك إستطاع زنكي أن يؤمن منطقة البصرة وطرقها في مدة قصيرة . وفي نفس الوقت إهتم بأمور واسط وأخذ يمد السلطان بأخبار العراق بحيث لم يُخف عليه شيىء من أموره . وقد قدر السلطان محمود جهود زنكي خير تقدير وعظمت

---

(١) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٣٧
التاريخ الباهر ص ٢٧ /٢٨
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٤
إبن خلدون : جـ ٥ ص ٥٢ /٥٣
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٣٠
إبن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٥٢ /٥٣

(٢) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٢٨
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ٧٤
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ص ٣٠
إبن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٥٢ /٥٣
سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٥٤٩ حاشية ٣

مكانته عنده[1] الأمر الذى مهد لترشيحه لمنصب « شحنكية العراق »[2] .

وفى سنة ٥١٩ هـ/١١٢٥ م ساءت العلاقات بين الخليفة المسترشد والسلطان محمود . وتوجه السلطان إلى بغداد بفرض سيطرته المباشرة على العراق . وكان أول مافعله الخليفة هو إرسال بعض جيوشه بقيادة عفيف الخادم فى ذى القعدة ٥١٩ هـ /١١٢٥ م للإستيلاء على واسط . فلما إقترب عفيف من واسط أرسل إليه زنكى يحذره القتال ويأمره بالعودة فلم يلتفت إليه فنشبت بين الطرفين معركة عنيفة إنتهت بإنتصار زنكى وهزيمة قوات الخليفة . وفى ٢٠ ذى الحجة من نفس السنة وصل السلطان إلى بغداد ، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه إقرار الصلح ، فرفض الخليفة طلبه فنشب القتال بين الطرفين وأرسل السلطان زنكى يأمره أن يحضر بنفسه ومعه المقاتلة فى البر والبحر ، فجمع زنكى السفن والبطائح من البصرة وواسط وبها المقاتلة ثم إتجه إلى بغداد على رأس قواته البرية والنهرية . ولما بلغ الخليفة تقدم زنكى . بجيوشه الضخمة ضعفت معنوياته لعلمه أن زنكى سوف يشدد الحصار والهجوم بحراً ويقطع الميره عن بغداد ، فى حين تقوم جيوش السلطان بهجوم برى على الخليفة وجيوشه . وعندما أدرك الخليفة أن نتيجة المعركة لن تكون فى صالحه أرسل إلى السلطان يطلب منه الصلح فتم الصلح بينهما ، وأقام السلطان ببغداد إلى العاشر من ربيع الآخر[3] . وهكذا لفت زنكى الأنظار إليه بشجاعته ومقدرته . وكان السلطان محمود أثناء إقامته ببغداد بعد الصلح قد مرض فأشار

---

(١) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٢٨
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٤
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٣٠

(٢) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٣٤٤

(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ٩ ص ٢٥٢ /٢٥٩ ، جـ ١٠ ص ٢ /٥
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٤٢ /٢٤٣
التاريخ الباهر ص ٢٩ /٣١
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٤
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩٤ /١٩٦
المقريزى : السلوك جـ ١ ق ١ ص ٣٤ /٣٥
إبن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٥٤ /٥٥

عليه الأطباء بمغادرتها لعدم صلاحية جوها له . وقبل أن يغادر بغداد نظر فيمن يصلح أن يلي شحنكية العراق بحيث يأمن معه جانب الخليفة ويستطيع القيام بمهمام منصبه على أحسن وجه ويقضى على الفتن فى العراق عامة وفى بغداد خاصة ، فلم ير فى أمرائه وأصحابه من يصلح لتولى هذه المهمة من أجدر من زنكى ، خاصة وأنه لعب دوراً حاسماً خلال الصراع بينه وبين الخلافة ، وإستشار السلطان أعوانه فأشاروا عليه بتولية زنكى(١) .

وفى ١٠ ربيع الآخر ولى السلطان محمود شحنكية العراق إلى زنكى إضافة إلى مابيده من الأقطاع والبلاد . وهكذا غادر السلطان بغداد بعد أن أناب عنه فيه من يستطيع أن يقوم بمهمام منصبه خير قيام ويجنبه عناء المشاكل والأزمات(٢) .

وقد قضى زنكى فى منصب الشحنكية أربعة أشهر لا نعلم عن أعماله أوعلاقته بالخلافة والسلطنة خلالها شيئا لقصر المدة . ثم نقل بعدها إلى إمارة الموصل والجزيرة وما يفتتحه من الشام ، ذلك أن عز الدين مسعود بن البرسقى والى الموصل (٥٢٠ /٥٢١ هـ ـــ ١١٢٦ /١١٢٧ م) توفى سنة ٥٢١ هـ فتولى البلاد بعده أخوه الصغير . وكان الحاكم الفعلى هو الوصى عليه جاولى

(١) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٣٤٤
التاريخ الباهر ص ٣١
سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٥٤٩ /٥٥٠

(٢) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٣٤٤
التاريخ الباهر ص ٣١
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٤
إبن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٠٣
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٣١
أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٤ ص ١٦٠
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٣
الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٤ ص ٤٦
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩٨
المقريزى : السلوك جـ ١ ق ١ ص ٣٤ /٣٥
إبن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٥٤ /٥٥
إبن الشحنة : روضة الناظر فى أخبار الأوائل والأواخر جـ ٨ من الكامل فى التاريخ ص ٢٠٥ /٢٠٦

الذى أسرع بمراسلة السلطان محمود طالباً منه إقرار إبن البرسقى على الموصل والجزيرة بإعتباره خير من يستحق هذا المنصب للخدمات التى أداها للسلطنة أبوه وأخوه .

وأرسل جاولى وفداً من القاضى بهاء أبو الحسن على بن الشهرزورى وصلاح الدين محمد الياغسيانى الذى كان صاحباً للبرسقى إلى بغداد ليتفاوض مع السلطان أو مندوبيه فى هذا الشأن . ولم يكن جاولى يعلم بنوايا رجال وفده وموقفهم منه إذ كان كل من الشهرزورى والياغسيانى يخافان من تحكم جاولى ولايرضيان بطاعته ، فعندما غادرا الموصل إجتمع الياغسيانى فى بغداد بصهره نصير الدين جعفر الذى كان أكثر أصحاب زنكى منزلة ، وعرض عليه حقيقة المهمة التى كلف بها هو والشهرزورى ، فخوفه نصير الدين من جاولى وتحكمه وقال له « إن رأيت أن تطلب تولية إمارة الموصل لزنكى فنعم الرأى لأنه سوف يكون صوره وأنا وأنت معنى » . فوافقه الياغسيانى على ذلك وأخذه إلى القاضى الشهرزورى وتحدثا معه « ووعده نصير الدين ومناه » كيما يستميله إلى رأيه ، وضمن له من زنكى « من الأملاك والأقطاع والأوقاف على إختياره » فوافق الشهرزورى على رأيهما . ثم إتجه الياغسيانى والشهرزورى إلى دار الوزير أنو شروان بن خالد وإجتمعا به وقالا له : إن منطقة الجزيرة والشام قد إستولى عليها الصليبيون وتمكنوا منها وقويت شوكتهم . وقد كان البرسقى الذى ولى الموصل يقف أمام أطماعهم ولكنه بعد أن قتل إزدادت أطماعهم خاصة وأن الحاكم على المنطقة طفل صغير — وهو إبن البرسقى — ولا بد لتلك المنطقة من أمير متمكن شجاع يستطيع أن يقف بوجه الخطر الصليبى ، وقد جئنا لنوضح لك طبيعة الظروف الراهنة كيلا يتخذ إجراء يعود ضرره على المسلمين فنبوء بغضب الله ولوم السلطان[1] . وعندما ذهب الوزير السلجوقى إلى السلطان ليشرح له مهمة وفد الموصل وإقتراحاته ، إستدعى السلطان الوفد

(١) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٤٥ /٢٤٦
التاريخ الباهر ص ٣٤ /٣٥
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٥ /٧٦
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٣٢ /٣٣
إبن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٥٥

وطلب منهم أن يرشحوا من يرونه كفء لهذا المنصب ، فقدموا له أسماء عدد من الأمراء بينهم زنكى ، وأكدوا على مكانته وكفاءته أكثر من غيره ، فمال السلطان إلى توليته لما علم من شهامته وكفاءته فى المناصب السابقة التى شغلها وأمره بالحضور عنده . وكان أن تم الإتفاق على تعيينه فى الموصل وأعمالها مقابل مبلغ من المال يتقدم به إلى السلطان(١) وقد كتب السلطان منشوراً لزنكى بتوليه الموصل والجزيرة والشام(٢) . وسلمه ولديه ألب أرسلان والخفاجى وجعله أتا بكاً لهما . ومنذ ذلك الحين سمى زنكى أتا بكاً كأحد ألقابه الرسمية ، وغدا كل من ولدى السلطان محمود تحت إشرافه(٣) .

وفى ٣ رمضان سنة ٥٢١ هـ /١١٢٧ م وصل بغداد مجاهد الدين بهروز قادماً من قبل السلطان ليتولى شحنكية العراق فغادر زنكى ورجاله بغداد نحو الموصل ليتسلم مهام منصبه الجديد(٤) .

---

(١) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٤٥ /٢٤٦
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٥ /٧٦
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٣٢ /٣٣

(٢) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٤٦ /٢٤٨
التاريخ الباهر ص ٣٤
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٥ /٧٦
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٣٣
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ٢٤١
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٢

(٣) إبن خلكان : وفيان الأعيان جـ ٢ ص ٧٩ /٨٠
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٣٣
البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٧
إبن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٤ ص ١٢٨

(٤) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩٦
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٤٧
أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٤ ص ١٦٠
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٣

علاقات عماد الدين زنكى بالخلافة العباسية والسلطنة :

كانت لزنكى علاقات متداخلة مع الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية ، نظراً لأن هاتين السلطنتين متداخلتان فى علاقتهما وكان بينهما فى الغالب خلافات وتنافس على السلطة الفعلية ، مما تطلب من زنكى أن يلعب دوره بمهارة تجاه كل منهما .

وقد تعرض زنكى بعد ولايته على الموصل والجزيرة والشام لمحاولة إستهدفت عزله من منصبه وإحلال دبيس بن صدقة أمير الحلة محله . وكان دبيس قد إلتحق ـــ بعد هزيمته من العراق ـــ ببلاط السلطان سنجر سلطان سلاجقة خراسان وما وراء النهر وغدا دبيس أحد أمرائه المقربين . وصادف أن قام السلطان محمود بزيارة لعمه سنجر لتصفية الخلافات القديمة بينهما . وعند مغادرة السلطان محمود عاصمة عمه قدم إليه دبيس بن صدقة وطلب منه أن يعزل زنكى عن الموصل والشام ويعين دبيس بدله وأن يطلب من الخليفة تحسين علاقته بدبيس ، فأخذه محمود معه وغادر عاصمة عمه إلى همذان[1] .

وفى ١٩ محرم سنة ٥٢٣ هـ /١١٢٨ م وصل السلطان محمود إلى بغداد ، وكان دبيس قد توقف فى منتصف الطريق ينتظر جهود السلطان محمود من أجل عزل زنكى وتعيينه محله . وبذل السلطان جهده مع الخليفة من أجل تحسين علاقته بدبيس والسماح له بدخول بغداد . وفى نفس الوقت أرسل السلطان إلى زنكى يطلب منه التنازل عن منصبه وتسليمه إلى دبيس ثم ما لبث دبيس أن دخل بغداد ونزل بدار السلطان محمود وعرض على الخليفة تقديم مائة ألف دينار من أجل تحقيق مطلبه[2] . أما زنكى فغادر الموصل مسرعاً إلى بغداد

---

(١) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٨ /٩
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩٨ /١٩٩

(٢) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ١١
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٤٩
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٤٣ /٤٤
الذهبى : دول الإسلام جـ ٢ ص ٣٢ /٣٣
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩٩

ففوجىء السلطان بحضوره المباغت وعرض عليه زنكى مائة ألف دينار مع هدايا قيمة لتثبيته فى منصبه ورفض مطالب دبيس[1] . كذلك قدم زنكى إلى الخليفة مثل ماقدمه للسلطان من أجل عدم الموافقة على تولية دبيس وإبقاء علاقته غير ودية معه[2] .

وبقى زنكى فى خدمة السلطان محمود ثلاثة أيام إستطاع أن يقنعه فيها بضرورة إبقائه فى منصبه . فخلع عليه السلطان وأعاده إلى الموصل[3] بعد أن كتب منشوراً جديداً تأكيداً للمنشور السابق بحكم الموصل والجزيرة والشام وما أتصل بها[4] . وبذلك إستطاع زنكى أن يقضى على هذه المحاولة وأن يحصل من السلطان على تأكيد حكم ما بيده .

وقد ساعد زنكى على إحباط محاولة دبيس عدة أمور أهمها جهود الخليفة لتثبيت زنكى على الموصل وكراهيته لدبيس[5] حتى أنه أرسل إلى السلطان

---

(١) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ١١
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٤٩
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٤٤
الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٤ ص ٥٢
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩٩
إبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٣٤

(٢) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ١١
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩٩
إبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٣٤

(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ١١
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٤٩
إبن واصل : مفرج الكروب : جـ ١ ص ٤٤
الذهبى : دول الإسلام جـ ٢ ص ٣٢ /٣٣
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩٩
إبن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٥٧

(٤) إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٤٠
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ٢٤٣

(٥) إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩٩

محمود يقول له أن دبيسا أعان الصليبيين ضد المسلمين فكيف توليه[1]. وكان دبيس قد إنضم إلى الصليبيين بعد هزيمة سنة ٥١٧ هـ/١١٢٣ م وأسهم معهم فى حصار حلب طمعاً فيها[2]، وكذلك كان أهالى بغداد يكرهون دبيس، وعندما دخل بغداد أخذوا يشتمونه ويلعنونه ويهتفون بالدعاء والتأييد للخليفة والسلطان[3]. وربما كان سبب ذلك موقف دبيس العدائى من الخليفة ومحاولاته السابقة لنهب بغداد وتخريبها[4] وكذلك مساعدة صليبى الشام[5].

ولم يكن من صالح السلطان محمود أن يعزل زنكى عن الموصل وهو الذى ساعده فى الظروف الحرجة. ولعله لم يقم بهذه المحاولة إلا تحت ضغط عمه السلطان سنجر صاحب السلطة العليا على السلاجقة، كما أن تعيين دبيس فى الموصل قد يتيح لسنجر أن يتخذ منه صنيعة ضد مصالح السلطان محمود فى العراق، إذ أن سنجر هو صاحب الفكرة فى تعيين دبيس فى الموصل.

ولهذه العوامل لم ينفذ السلطان محمود طلب عمه بل أقر زنكى على منصبه. وفى سنة ٥٢٥ هـ/١١٣٠ م تأزمت العلاقات بين زنكى والخليفة بسبب دبيس، ذلك أن زنكى كان قد إتفق مع حكام دمشق على تسليمه دبيس بعد أن كان هذا قد أعتقل فى دمشق. وما أن تسلم زنكى دبيسا حتى قابل إساءته بالإحسان وأنعم عليه « فأطلقه ــ وكان مقيداً ــ وأنزله بحلب وأعطاه مائة ألف دينار وخلع عليه خلعاً فاخرة »[6] وخوله كثيراً من الصلاحيات ووضع تحت تصرفه المال والسلاح وكل ما يحتاج إليه كبار الأمراء[7]. ولعل زنكى أراد بذلك أن يتخلص من عداءه وذلك بوضعه تحت مراقبته.

(١) إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ٢٤٤
(٢) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ١١
(٣) إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ٢٢١/٢٢٥
(٤) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١١ ص ١٠٠
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٩٩
(٥) إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ٢٤٩/٢٥٠
(٦) إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ٢٤٩/٢٥٠
(٧) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٠
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٥٥

وعندما سمع الخليفة المسترشد بأخبار دبيس طلب من بورى حاكم دمشق أن يحتفظ بدبيس حتى يرسل إليه من يتسلمه[1] ، ثم أرسل رسولين هما سديد الدولة بن الأنبارى صاحب ديوان الإنشاء ببغداد وأبو بكر بن بشر الجزرى[2] ليتسلما دبيساً من دمشق حيث إستهدف الخليفة من ذلك إيقاف نشاط دبيس العدائى ضده . فلما وصل الرسولان إلى دمشق علما بإنتقال دبيس إلى زنكى ، فثارت ثائرة إبن الأنبارى وذكر زنكى بما يكره مستخفًا به ، فلما علم زنكى بذلك أمتعض وأرسل إلى بادية الشام بعض قواته حيث لقيت إبن الأنبارى بالقرب من الرحبة فنهبت ما كان معه وقتلت بعض غلمانه وأرسلته إلى زنكى الذى إعتقله فى الموصل وعامله بشدة[3] . وكان أن أرسل الخليفة العباسى المسترشد يشفع فى إبن الأنبارى ، فأطلق زنكى سراحه وأحسن إليه وأعاده إلى بغداد[4] .

وفى أواسط سنة ٥٢٥ هـ/١١٣٠ م سمع زنكى ــ وكان فى طريقه إلى حمص ــ بنبأ وفاة السلطان محمود ، وكان إبنا السلطان المتوفى وهما ألب أرسلان والخفاجى تحت إشراف زنكى ، فأرسل رسالة إلى الخليفة المسترشد

= إبن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٣٦
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ٢٤٩ /٢٥٠
إبن الواصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٤٥

(١) إبن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣١
إبن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٣٥

(٢) ينفرد إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٥٥ وإبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٦ /٣٧ بذكر هذا الرسول إضافة إلى إبن الأنبارى .

(٣) إبن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣١ /٢٣٢
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٥٥

(٤) إبن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣١ /٢٣٢
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٥٥
إبن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٣٥ /١٤٠
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ٢٥٠
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٤٣ /٤٥
أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٥ ص ١٠ /١١
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٦ /٣٧

يطلب منه فيها أن يخطب ببغداد لألب أرسلان ، لكن الخليفة إعتذر عن ذلك بحجة أن ألب أرسلان طفل صغير وأن السلطان محمود عهد بالسلطنة لولده البكر داود ــ وهو بأصبهان ــ وقد وردت الرسل بالخطبة له وأنه ــ أى الخليفة ــ فى إنتظار رسالة السلطان الأعظم سنجر بن ملشكاه « فهو عم القوم » وله القول الفصل .(١)

وهكذا فشل زنكى من الإستفادة من فرصة وفاة السلطان محمود ، تلك الفرصة التى أتاحت له مجالات جديدة ودفعته إلى الخروج عن سياسة الولاء للسلطان السلجوقى وذلك بمحاولة إستغلال أحد ولدى السلطان محمود فى الموصل والتوجه به إلى بغداد ومطالبة الخليفة بالإعتراف به سلطانا على سلاجقة العراق ، وبذا يغدو زنكى المتحكم الفعلى فى شئون السلطنة بإسم السلطان الصغير .

وفى سنة ٥٢٦ هـ /١١٣١ م إستطاع السلطان مسعود بن محمد ــ حاكم أذربيجان ــ إستمالة زنكى لمساعدته فى المطالبة بعرش السلاجقة مقابل إعطائه مدينة إربل التى كانت تابعة لممتلكات مسعود . وتم الإتفاق بينهما على أن يتجها إلى بغداد لمطالبة الخليفة المسترشد بالخطبة لمسعود والإعتراف به سلطاناً على العراق ، فتسلم زنكى إربل ثم إتجه إلى بغداد سالكاً الطريق على الضفة الغربية لدجلة بينما سار مسعود على الضفة الشرقية وتواعدا على أن يكون اللقاء فى بغداد(٢) . على أن سلجوق شاه بن محمد (أخو مسعود) سبق مسعود إلى بغداد على رأس جيش كبير ، وكان قد طالب الخليفة بالخطبة له فإمتنع ، إلا أن سلجوق شاه إستطاع دخول بغداد فى الوقت الذى إقترب زنكى منها . فلما سمع سلجوق شاه بذلك أمر قائده « قراجا الساق » بالإسراع فى العبور إلى الجانب الغربى مع قواته كلها والتوجه إلى تكريت لإيقاف تقدم زنكى ، فوصل إلى مشارف تكريت فى يوم وليلة ، ودارت بين الطرفين معركة عند قصر المحشوق على الجهة المقابلة لسامراء ، وإنتهت بهزيمة زنكى وأسر عدد كبير من أصحابه ، فعاد قراجا بعد ذلك إلى بغداد أما زنكى فإتجه إلى تكريت(٣)

(١) إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٤٦

(٢) إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٦٧

(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٥
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٥٧

حيث أسرع واليها نجم الدين أيوب بإقامة المعابر له وإكرام ضيافته حتى عاد إلى الموصل(١) . وفى الموصل إستطاع زنكى أن يعيد تنظيم قواته بعد أن أنفق عليها أموالاً كثيرة وجهزها بالمؤن والمعدات(٢) .

وبعد مناوشات بين مسعود وسلجوق شاه أدرك كل منهما أن الصراع بينهما سوف يتيح الفرصة لتدخل عمهما سنجر والقضاء على أهدافها فى العراق فعقدا بينهما صلحاً ونظما قواتهما للتوجه لقتال سنجر(٣) . ورأى سنجر أن يستميل زنكى ويتخذ منه حليفاً ضد خصومة فأرسل إليه رسالة يطلب منه فيها أن يتوجه هو ودبيس بن صدقة نحو بغداد للإستيلاء عليها والخطبة له فيها وعرض على كل منهما منصباً كبيراً إثر نجاح الخطة وهى إعطاء

إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ ص ١٣٩ /١٤٢
أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٥ ص ١١ /١٢
الذهبى : دول الإسلام جـ ٢ ص ٣٤
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٧ /٣٨
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٤٧ /٤٨ ، ٩٧
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٠٣

(١) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٥٧ ، جـ ١١ ص ١٣٨
التاريخ الباهر ص ٤٦
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٨٦ /٨٧
إبن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٦٠
إبن واصل : مفرج الكروب : جـ ١ ص ٤٨
(٢) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٤٣
(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٥
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٥٧ /٢٥٨
البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٤٣ /٤٥
الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص ١٠٠
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٧ /٣٨
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٠٣
إبن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٥٧ /٥٨
المقريزى : السلوك جـ ١ ق ١ ص ٣٥

زنكى شحنكية بغداد ــ إضافة لمنصبه ــ وإقطاع الحلة لدبيس بن صدقة[1] .

وكان أن وافق زنكى على عرض السلطان سنجر لإعتقاده أن الغلبة ستكون له بحيث ينتصر على منافسيه ــ مسعود وسلجوق شاه ــ وبذا يستطيع زنكى أن يحقق مكاسب عديدة من تأييده للسلطان سنجر . لذا غادر زنكى ودبيس الموصل فى الطريق إلى بغداد .

وكان الإخوان مسعود وسلجوق شاه قد سارا لقتال عمهما سنجر والزما الخليفة العباسى المسترشد بالسير معهما . فسار فى أثرهما وعسكر فى خانقين ينتظر نتيجة المعركة . وفى ٨ رجب سنة ٥٢٦ هـ/١١٣١م إنتصر سنجر على قوات مسعود وسلجوق شاه ، فأجلس طغرل بن محمد فى سلطنة العراق وأمر بالخطبة له فى جميع البلاد ، ثم عاد سنجر إلى نيسابور[2] . وكان زنكى ودبيس قد إقتربا من بغداد ، فلما سمع الخليفة المسترشد بتقدمهما عاد إلى بغداد وأخذ يستعد للدفاع ، فعسكر بقوة كبيرة فى محلة العباسية[3] فى حين عسكر زنكى بالمنارية من أعمال الدجيل . وكان اللقاء فى ٢٦ رجب فى عقر قوف وإقتتلوا قتالاً شديداً ، فإنهزم دبيس أولاً مما أضعف معنويات قوات زنكى فإضطر إلى الإنسحاب بسبب تدخل الخليفة نفسه فى الحرب مما ساعد

---

(١) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٦
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٥٨
التاريخ الباهر ص ٤٤
إبن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٣/ ٢٠٤
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٥٠

(٢) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٦
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٥٨/ ٢٥٩
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٤٩/ ٥٠
الذهبى : دول الإسلام جـ ٢ ص ٣٤
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٧/ ٣٨
الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ص ١٠١
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٠٣

(٣) محله ببغداد قرب باب البصرة .
ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٦٠٠

على تقوية معنويات جنده وإنهيار معنويات قوات زنكى . ثم عاد الخليفة إلى بغداد وعاد زنكى إلى الموصل . أما دبيس فإنه إتجه إلى الحلة وجمع بعض أنصاره للإستيلاء عليها وكان بها جمال الدولة إقبال المسترشدى نائبا عن الخليفة فهزم دبيس(١) .

وقد إستطاع مسعود بعد عدة حروب أن يقضى على منافسيه وأن يغدو سلطاناً على سلاجقة العراق وإيران بموافقة عمه سنجر ، ولكن زنكى إستمر فى عدائه لمسعود وأخذ يدبر المؤامرات ويعمل على تشكيل الأحلاف مع الخليفة والأمراء ضد حكم مسعود ، حتى أن مسعوداً كان كلما وقع فى أزمة أو قامت ضده ثورة نسب ذلك إلى زنكى وظن أنه هو السبب فيما يتعرض له ، وكان زنكى يدرك عداء مسعود له لمواقفه السابقة منه . لذا لم يكن يسمح له بالتفرغ لتوجيه ضربة قاضية ضده ، وإستهدفت زنكى من سياسته ضد السلطان أن يشغله عن التفكير فى إتخاذ خطوة ضده(٢) .

والواقع أن معركة سنة ٥٢٦ /٥٢٧ هـ ـــ ١١٣١ /١١٣٢ م كانت ذات نتائج هامة بالنسبة لزنكى ، لأنه خسر علاقته الودية السابقة بالسلطان السلجوقى وهى العلاقة التى أفاد منها كثيراً فى عهد السلطان محمود (٥١٢ /٥٢٥ هـ ـــ ١١١٨ /١١٣٠ م) حتى أنه كان لشدة حب الأخير له يحلف بنعمته(٣) . ولكن زنكى مع ذلك إستفاد من إسهامه فى تلك المعارك بأن

(١) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٦
إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٥٩
إبن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٣٥ /١٤٠
إبن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٣ /٢٠٤
إبن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٥٠ ،٥١
أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٥ ص ١١ /١٢
الذهبى : دول الإسلام جـ ٢ ص ٣٤
العبر فى خبر من غبر جـ ٤ ص ٦٧
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٨
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٠٣

(٢) إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٣٨
التاريخ الباهر ص ٦٥
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٩٠

(٣) إبن منقذ : الإعتبار ص ١٥٥

حصل على مدينة إربل وإتسعت شهرته كأمير كبير له دوره فى الخلافات بين أبناء البيت السلجوقى الحاكم بعضهم ببعض أو بينهم وبين الخلافة العباسية . كما خرج زنكى من المعركة وقد تعرف على عائلة بنى أيوب حيث كان له الفضل الأول فى فسح مجال العمل العسكرى والسياسى لأبنائها .

ولكن أهم نتائج تلك المعارك هى ما كان لها من أثر فى العلاقة بين زنكى والخليفة العباسى المسترشد . ففى ربيع الأول سنة ٥٢٧ هـ /١١٣٢ م أرسل الخليفة إلى زكى الإمام أبو الفتوح الأسفرائينى الواعظ برسالة فيها خشونة وزاد من شدتها أبو الفتوح نفسه ـــ ثقة منه بقوة الخليفة وقدسية الخلافة ـــ فقبض عليه زنكى وأغلظ له القول وأهانه وناله بما يكره[١] . وعندئد ثارت ثائرة الخليفة خاصة وأنه كان يحقد على زنكى لموقفه منه فى العام السابق[٢] . كذلك وجد الخليفة الفرصة سانحة لتوجيه ضربته ضده وتوسيع أملاكه بإتجاه الشمال ، إذ كان سلاطين السلاجقة فى صراع عنيف فيما بينهم فى إيران . كذلك كان بعض الأمراء قد لجأوا إلى بالخليفة بسبب تلك الخلافات فتقوى بهم وإستطاع أن يحكم العراق حكماً فعلياً وأن يجبى الأموال لحسابه[٣] . وقد وجد الخليفة فى هذه العوامل ماشجعه على الإسراع والتوجه إلى الموصل والإستيلاء عليها .

وفى ٢٠ رمضان سنة ٥٢٧ ـــ /٣٢ ـــ١١٣٣ م زحف الخليفة على الموصل على رأس ثلاثين ألفاً ، وكان زنكى عندما سمع بالخبر غادر الموصل على رأس قسم كبير من قواته وعسكر بظاهر سنجار ليقوم من هناك بشن هجمات صغيرة وسريعة ضد قوات الخليفة المحاصرة ، ويعمل على قطع الميرة عنها ، وفى الوقت نفسه فأنه أبقى قسما آخر من قواته فى الموصل مع نصير الدين

(١) إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٢
إبن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٣ /٢٠٤
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٥٢
(٢) إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٥١
(٣) إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٢
التاريخ الباهر ص ٤٧
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٥١ /٥٢
Rusciman; A History of the crusades vol 2 P.P. 194-195

جـقر نائبه هناك لتقوم بمهمة الدفاع عن المدينة[1] فحصن جـقر المدينة وعمق خنادقها[2] .

وقد قامت قوات الخليفة بشن هجمات يومية ضد إستحكامات الموصل وتقوت هذه القوات بوصول أبو الهيجاء الكردى أحد أمراء الجبل ومعه جيوش كثيرة وإنضمت إلى جيوش الخليفة[3] .

أما جـقر فقد قام بمهمة الدفاع عن المدينة خير قيام بينما كان زنكى يرسل سراياه لقطع الميرة عن قوات الخليفة ولتشن الهجمات على معسكرات المحاصرين[4] ، ثم أرسل زنكى إلى الخليفة يعرض عليه مبلغاً من المال مقابل إنهاء الحصار فرفض الخليفة طلبه[5] . وإستمر الحصار ثمانين يوماً لم يظهر خلالها من قوات الدفاع عن الموصل ما يشير إلى ضعفها . وأخذت الاقوات والميرة تقل بالتدريج فى معسكر الخليفة بحيث غدا هؤلاء أشبه بالمحاصرين[6] . وقد حاول جماعة من عمال البناء فى الموصل القيام بمؤامرة تستهدف تسليم المدينة إلى الخليفة ولكن مؤامرتهم أكتشفت وأعدموا[7] . ولعل ذلك من تدبير الخليفة وأنصاره ، إذ أن عمال البناء هم أعرف الناس بنقاط الضعف فى

---

(١) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٣٠
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٢
إبن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٣
سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٥٥٤

(٢) إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣١٥

(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٣٠

(٤) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٤٧
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٥٢

(٥) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٣٠
الذهبى : دول الإسلام جـ ٢ ص ٣٥
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ٢ ص ٢٠٤

(٦) إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٢
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٥٢

(٧) إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٢
إبن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٤
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٥٢ /٥٣

الأسوار . وربما قاموا بذلك لحبهم للخليفة وإعتباره رأس المسلمين الذين يجب عليهم طاعته .

وقد إستغل السلطان مسعود فرصة إنشغال الخليفة بحصار الموصل فتوجه إلى بغداد ، وبلغت الخليفة أخبار عن محاولة السلطان للإستعانة بدبيس بن صدقة لتحقيق أهدافه(١) ، ولذلك توقف عن الحصار وتراجع إلى بغداد فوصلها فى العاشر من ذى الحجة سنة ٥٢٧ هـ(٢) .

وبذلك تحول الموقف لصالح زنكى وتخلص من الخطر الذى كان يهدد نفوذه ، وكان لخطته العسكرية أثناء القتال أثر كبير فى إنسحاب الخليفة حيث ضاقت السبل بالعسكر بسبب قلة الميرة والقوت(٣) . هذا بالإضافة إلى خطورة الوضع فى بغداد .

ثم أن الخليفة راسل زنكى فى مطلع العام التالى ٥٢٨ هـ /١١٣٣ م وطلب منه الصلح فأجابه زنكى دون تردد(٤) . وقد دفعه ذلك سوء علاقته مع

---

(١) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٣٠
الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٤ ص ٧٠

(٢) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٣٠
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٢
التاريخ الباهر ص ٤٧
إبن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٤
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٥٢ /٥٣
السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٣١
إبن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٤ ص ٨٦

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٥٥٥

(٤) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٣٤
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٦
التاريخ الباهر ص ٤٨
إبن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٤
أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٥ ص ١٥
الذهبى : دول الإسلام جـ ٢ ص ٣٥
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٩
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٠٦

السلطان فخشى العزلة ، كما أن علاقة الخليفة بالسلطان مسعود لم تكن طيبة فوجد من مصلحته عقد صلح مع زنكى لمواجهة الأخطار التى قد تهدده فى المستقبل من جانب السلطان . وهكذا وجد العدو المشترك بين الخليفة وزنكى بالرغم من محاولة القضاء على حكم زنكى سنة ٥٢٧ هـ . وقد حرص زنكى على حسن العلاقة مع الخليفة فأرسل وفداً إلى بغداد ليقدم إلى الخليفة مبلغاً من المال ومجموعة من الهدايا والخدم(١) . وإستمر تبادل الهدايا والرسل بين الطرفين توثيقاً للصداقة بينهما .

وفى جمادى الأولى سنة ٥٢٨ هـ/١١٣٣ م بعث الخليفة « القاضى الهيثمى » رسولاً إلى زنكى فى الموصل فعاد الرسول فى جمادى الآخرة وقد خلع زنكى وأنعم عليه بهدايا قيمة وأكرمه إكراماً بالغاً(٢) .

وهكذا إستمرت العلاقات الودية بين الطرفين ، فأرسل زنكى فى مطلع سنة ٥٢٩ هـ/١١٣٤ م إبنه سيف الدين غازى ليؤكد طاعته للخليفة وولائه له ، وكان أن إستقبله الخليفة إستقبالاً حافلاً وسار فى موكب عظيم إلى دار الخلافة ، وأمر الخليفة بإنزاله إحدى الدور بالجانب الغربى من بغداد(٣) .

ثم أسهم زنكى فى مساعدة الخليفة المسترشد ضد السلطان مسعود بن محمد (٥٢٩ /٥٤٧ هـ ـــ ١١٣٤ /١١٥٢ م) الذى نجح فى التغلب على منافسيه والفوز بالسلطنة سنة ٥٢٩ هـ . وكان الخليفة العباسى المسترشد ينشد الإستقلال عن السلطنة السلجوقية بعد أن توترت العلاقات بينه وبين السلطان مسعود ، وإنتهت بإعلان الخليفة وأنصاره الحرب على السلطان(٤) ، حيث

(١) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٣٤
إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٤٨
الذهبى : دول الإسلام جـ ٢ ص ٣٥
العبر فى خبر من غبر جـ ٤ ص ٧٣

(٢) إبن الجوزى : جـ ١٠ ص ٣٥

(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٤٢

(٤) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٤٥ /٤٧
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٠ /١١
التاريخ الباهر ص ٤٩

أرسل الخليفة زنكي ــ وكان آنذاك محاصراً لدمشق ــ رسولاً يطلب منه فك الحصار عن دمشق والتوجه إلى العراق لتولى أموره وإدارة شئونه وأن تكون الخطبة لألب أرسلان بن محمود المقيم فى الموصل تحت إشراف زنكي وأن يأتى إلى بغداد . وكان أن أجابه زنكي أولاً إلى إنهاء الحصار عن دمشق وعقد صلحاً مع حكومتها خطب بموجبه لألب أرسلان على منبر المسجد الجامع بدمشق يوم الجمعة ٢٨ جمادى الأولى سنة ٥٢٩ هـ(١) . ثم أرسل زنكي نجدة لمساندة الخليفة ولكنها وصلت متأخرة بعد أن نشبت المعركة بين الخليفة المسترشد والسلطان مسعود بن محمد فى ١٠ رمضان سنة ٥٢٩ هـ(٢) إنتصر فيها السلطان وأسر الخليفة وبقى فى الأسر حتى ذى القعدة عندما هجم عليه جماعة من الباطنية وقتلوه ومثلوا بجثة الخليفة تمثيلاً شديداً(٣) . ثم كتب السلطان مسعود إلى شحنة بغداد يأمره بالبيعة للراشد بن المسترشد فبويع ليحل محل أبيه فى الخلافة فى يوم الإثنين ٢٦ دى القعدة سنة ٥٢٩ هـ/١١٣٤ م .(٤)

وهكذا ضاعت من زنكي فرصة عظيمة كان سيستفيد منها لو كان الخليفة المسترشد قد إنتصر وأصبح ألب أرسلان ــ المقيم فى الموصل ــ سلطانا مما

---

(١) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٨
إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٣
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٨ /٩
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ٢٥٨
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٥٨
الذهبى : دول الإسلام جـ ٢ ص ٣٢

(٢) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٨
إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٣
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ٢٥٨

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٥٥٧

(٤) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٤٥ /٥٠
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٠ /١١
التاريخ الباهر ص ٤٩ /٥٠
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٧٩
الدميرى : حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ١٢٠
إبن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٤ ص ٨٦

كان سيؤدى إلى سيطرة كل من المسترشد وزنكى على شئون العراق عمليا بإسم السلطان الصغير .

وكان من نتائج هذه المعركة زيادة التوتر فى علاقة زنكى بالسلطان مسعود ، وقد بلغ من سوء العلاقات بين الطرفين أن السلطان قام بمحاولة لإغتيال زنكى والقضاء على خطره نهائيا فإستدعاه إلى أصفهان ، ولكن دبيساً بن صدقة أعلم زنكى بنوايا السلطان فإمتنع زنكى عن القدوم . وعندما علم السلطان بمافعله دبيس أمر بقتله[1] . ولمّا بلغ زنكى هذا النبأ قال « فديناه بالمال وفدانا بالروح »[2] .

ولم تلبث أن تأزمت العلاقات بين الخليفة الراشد (٥٢٩ /٥٣١ هـ ـ ١١٣٤ /١١٣٦ م) والسلطان مسعود . وكان أن إجتمع عند الخليفة عدد من الأمراء المناهضين للسلطان وحبذوا له العمل على إسقاط مسعود والإتيان بسلطان جديد يرتضونه وتم الإتفاق على ذلك[3] .

وفى مستهل صفر سنة ٥٢٩ هـ وصل زنكى إلى بغداد قادماً من الشام بعد أن إستدعاه الخليفة الراشد ووعده أن يولى السلطنة لألب أرسلان بن محمود المقيم فى رعاية زنكى الذى وعده الخليفة بأتابكية السلطنة[4] . وقد وصل إلى بغداد عدد كبير من الأمراء بالإضافة إلى زنكى وطلبوا جميعاً من الخليفة الراشد العمل على القضاء على السلطان مسعود . وعندئذ وجد الراشد الفرصة سانحة ، فألغى الخطبة للسلطان مسعود وجعلها لداود بن محمود (١٤ صفر

---

(١) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٣
إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ٢٥٠ /٢٥١
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٠٩

(٢) إبن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ٢٥٠

(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٥
إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٥١
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٦٣ /٦٤
الذهبى : دول الإسلام جـ ٢ ص ٣٧ /٣٨

(٤) إبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٥٨

سنة ٥٢٩ هـ)(١) فعين هذا برنقش البازدار(٢) شحنة للعراق(٣) .

ولم يمض على ذلك سوى وقت قصير حتى دبت الخلافات بين الراشد والأمراء فى بغداد بسبب الأطماع الشخصية والمنافسات والأحقاد القديمة ، مما تسبب فى إحداث إضرابات واسعة فى بغداد ، كما كثرت عمليات النهب والقتل مما كان له أسوأ الأثر .

وحدث أول صدام بين الخليفة وزنكى ، إذ حاول الخليفة أن يستغل الفرصة للبطش برجال حاشية أبيه المسترشد الذين أطلقهم السلطان مسعود ، فقبض الراشد على جمال الدولة إقبال المسترشدى ونهب ماله . ولكن هذه التصرفات لم تلق إرتياحاً لدى الأمراء المجتمعين فى بغداد ، فأرسل زنكى بإعتباره كبير الأمراء إلى الراشد يطلب منه إطلاق سراح إقبال ويذكره أنه جاد فى صحبته فرضخ الخليفة وأجابه إلى طلبه(٤) . ثم أرسل زنكى إلى الراشد يطلب منه المبالغ التى صادرها من المسترشدى قائلاً له « إنها نقود للخزينة العامة وأن القوات فى حاجة إلى نفقة وتبودلت الرسل بين الطرفين فى هذا الشأن(٥) .

(١) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٥
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٦٤

(٢) البازدار : هو الذى يحمل الجوارح والطيور المعدة للصيد على يده .
سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٣٩٥

(٣) إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٥

(٤) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٥ /٥٦
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٥
التاريخ الباهر ص ٥١ /٥٣
الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٤ ص ٨٠

(٥) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٦
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٥

وكان سلجوق شاه بن محمد ــ أخو السلطان مسعود ــ قد وصل آنذاك إلى واسط وإستولى عليها ، فدفع الراشد إلى زنكى ثلاثين ألف ديناراً للتجهز لإسترداد واسط[١] . وإتجه زنكى إلى واسط وعندما إقترب منها تبودلت الرسل بين الطرفين وإنتهى ذلك بعقد الصلح[٢] بين زنكى وسلجوق شاه . وإذا كانت المصادر لم تذكر شروط الصلح إلا أننا نرجح أن يكون إنسحاب زنكى من أهم شروطه .

وعندما عاد زنكى إلى بغداد تجدد الشك وسوء الظن بينه وبين الراشد إلى درجة أن الراشد إضطر إلى إقامة الحرس حول دار الخلافة ليكون على إستعداد للدفاع عنه فى حالة قيام زنكى بهجوم ضده . وربما كان سبب سوء التفاهم بين الطرفين هو موقف الراشد العدائى من بعض كبار رجاله ، لذا أشار زنكى على إبن صدقة وزير الراشد السابق أن يكون وزيراً للسلطان داود بن محمود المقيم فى بغداد فأجابه بن صدقة إلى طلبه . ولم تلبث أن تحسنت العلاقات بين زنكى والراشد ، فأخذ زنكى عهداً من الراشد ثم ذهب لمقابلته فعاهده « وقبل يده » وأرسل الخليفة على أثر هذه المقابلة إلى الوزير أبى الرضا بن صدقة يطلب منه العودة إليه ، فعاد إبن صدقة وفوض إليه الخليفة شئون حكومته كلها[٣] . ولمّا تم الإتفاق بين الأمراء أصدر الخليفة أوامره إلى داود وسائر الأمراء ومن جملتهم زنكى بالتوجه شرقا لقتال السلطان مسعود[٤] . ولكنهم ماكادوا

---

(١) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٧

(٢) إبن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ١٦ /١٧

إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٦٤

ويشير إبن الأثير فى كتابه التاريخ الباهر إلى أن زنكى عندما وصل واسط وقع خلاف بين سلجوق شاة وبين أتابكه (البقشى السلاحى) فراسل زنكى البقشى وإستماله وحذره من سلجوق شاة ، فمال إليه وسار هو وجماعة من الأمراء إلى معسكر زنكى فعاد معهم إلى بغداد « فإزداد زنكى عظمة وعلو محل وكانوا لايصدرون إلا عن رأيه وأمره » .

(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٦ /٥٧

إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٥٢

(٤) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٧

يقطعون مسافة قصيرة حتى ورد الخبر بأن مسعود فى طريقه إلى بغداد . وكان أنْ دب الوهن فى صفوف الأمراء ، وإضطر الراشد إلى إستدعائهم إلى بغداد ، فعادوا فى ٢٢ شعبان ٥٢٩ هـ /١١٣٤ م . وفى مطلع رمضان تم الإتفاق على أن يكون قتال مسعود من وراء أسوار بغداد وأن يتخذ الخلفاء الإجراءات الدفاعية لصد الهجوم(١) ، وأشار زنكى على الراشد بأن يعسكر على نهر دجلة عند جامع السلطان ، فلمّا كان مساء الأحد ٤ رمضان جاء من أخبر زنكى بأن قوات مسعود قد عزمت على القيام بهجوم مفاجىء فرحل هو وأصحاب الخليفة إلى داخل بغداد ، وخرج زنكى فى الليل على رأس بضعة آلاف فارس ليأخذ على أيدى المهاجمين ، فإضطر مسعود إلى الإنسحاب ، وعمّ الناس الخوف وحمل الأهالى السلاح وإشتركوا مع الأمراء فى بناء الأسوار . وحاول مسعود إستمالة الأمراء بإرسال الهدايا إليهم ء وعندما إستجاب شحنة بغداد له وكتب إليه ، قبض عليه زنكى ومنعه من ذلك(٢) .

وفى ٢١ رمضان إستطاع زنكى أن يصد هجوماً قامت به قوات مسعود على الزرقة(٣) وحذر زنكى الخليفة من الإعتماد على الأمراء الهاربين من جيش مسعود والذين طلبوا الأمان من الخليفة فأمنهم . وفى أواخر رمضان طلب السلطان الصلح ، ولكن الخليفة رفض ذلك ـــ بعد أن إستشار الأمراء(٤) . وأرسل زنكى قائده زين الدين على كجك لقتال مسعود فى أطراف بغداد فلم يحقق نتيجة تذكر وعاد إلى بغداد فتبعته جيوش مسعود وفرضت الحصار على بغداد(٥) . وكانت الأوضاع داخل بغداد تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، فكثر العيارون وقاموا بالنهب وإغتصاب التجار(٦) .

(١) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٧
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٦٥
(٢) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٧
(٣) الزرقه : قرية كبيرة فوق بغداد بينهما تسعة أميال .
ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٥٤٠
(٤) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٧ /٥٨
(٥) إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٧
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٦٥
(٦) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٨ /٥٩
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٧

وفى يوم العيد إستطاعت قوات مسعود أن تدخل الرصافة فبالغت فى التخريب وكثر فساد العيارين وقتلوا أحد مراسلى زنكى فإستاء زنكى من ذلك وقام بنهب الحريم الطاهرى(١) وإستولى على ماقيمته خمسمائة ألف دينار من الذهب والفضة والأثاث ، وكان فيه ودائع أغنياء بغداد . كما حضر جماعة من سكان بغداد عند زنكى وأشاروا عليه بنهب المحال الغربية « فليس فيها غير عيار ومفسد فإمتنع »(٢) . وكان أن ضعفت معنويات المدافعين وسادت الشكوك بين الأمراء وخاف أحدهم الآخر فخشى زنكى من البقش الكبير والبازدار شحنة بغداد .

وكان أن أرسل السلطان مسعود إلى زنكى وحلف له سراً إنه إن إنسحب من الميدان أقره على بلاده وعلى الشام جميعه ، كما كاتب الأمراء الآخرين قائلاً لهم « إن من قبض على زنكى وقتله أعطيته بلاده » . وقد إستهدف مسعود من ذلك القضاء على زنكى بإعتباره يشكل القوة الرئيسية التى تعترض سبيله ، ولكن زنكى إكتشف ذلك فأشار على الراشد بأن يرحل من بغداد فى صحبته(٣) .

وفى ليلة السبت ١٤ ذى القعدة خرج الخليفة مع وزيره إبن صدقة والقاضى الزينبى وجماعة من الخدم والأتراك وعبر إلى الجانب الغربى وزنكى « قائم ينتظره » فإتجها إلى الموصل ولم يكن مع الراشد سوى نفر يسير من أصحابه(٤) ، وهكذا دخل مسعود بغداد فى ١٥ ذى القعدة وسكن الناس من

---

(١) الحريم الطاهرى : بأعلى بغداد فى الجانب الغربى منسوب إلى طاهر بن الحسين وكان من لجأ إليه آمن ولذلك سمى « الحريم » .
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٢ ص ٢٥٥ /٢٥٦

(٢) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٩
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٧

(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٩
الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٤ ص ٨٠

(٤) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٥٩ /٦٠
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٧
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٦٥ /٦٦

الخوف الشديد[٣] . وأعلن خلع الراشد وتولية الخلافة عمه المقتفى فى ١٨ ذى الحجة[٤] . أما زنكى والراشد فقد تعرض عسكرهما فى الطريق للنهب ووصلا الموصل فى ١١ ذى الحجة[٣] وخيم الراشد بظاهرها ولقي من زنكى كل إكرام إذ أحضر بين يديه كل مايريده وقدم إليه أموالاً وعروضاً وآلات على إختلافها بمبالغ كبيرة[١] .

وهكذا إقتصرت الخطبة للخليفة الجديد « المقتفى » على بعض أنحاء العراق[٥] بينما إستمرت الجزيرة والشام تخطب للراشد المقيم لدى زنكى والذى كان يتمتع بحمايته . وعندما طالب زنكى القاضى الزينى المقيم بالموصل « أن يكتب بإبطال خلافة المقتفى وصحة خلافته » رفض القاضى فتوعده زنكى وناله بشيء من العذاب وهدده بالقتل[٦] ، مما يشير إلى مدى تمسك زنكى بالراشد إلى ذلك الوقت . حتى أنه وردت رسالة من الموصل تشير إلى إحتمال قيام زنكى والراشد بالزحف على بغداد من جديد[٧] .

ثم كان أن أرسل كل من الراشد وزنكى رسولاً إلى بغداد سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م ، فأما رسول الراشد فلم تسمع رسالته ، وأما رسول زنكى وهو كمال الدين الشهرزورى فأنه أستقبل بالحفاوة والإكرام . وإستطاعوا إقناعه ــ بعد المعارضة ــ بخلع الراشد ومبايعة المقتفى . وطلب من الخليفة الجديد أن يكافىء زنكى على ذلك فأمر الخليفة أن يقطع زنكى من أملاك

---

(١) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٦٠
إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٥٣

(٢) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٦ /٢٥٧
إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٦٠
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٧ /١٨
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٦٧
الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٤ ص ٨١

(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٦٢

(١) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٥٢ /٥٣

(٥) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٦ /٢٥٧

(٦) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ١٣٥ /١٣٦

(٧) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٦٩

الخليفة الخاصة « صريفين »[1] و « درب هارون »[2] . كذلك أعلن عن زيادة ألقاب زنكى « وهذا إجراء لم يسمح به لأحد من زعماء الأطراف وهو أن يكون له إقطاع من أملاك الخليفة الخاصة » . ثم قابل رسول زنكى السلطان مسعود وأخذ منه العهود تجاه زنكى « وإستنزله عما فى نفسه منه »[3] .

ثم عاد كمال الدين الشهرزورى إلى الموصل يحمل معه « محضر خلع الراشد » فقرىء على القضاة والشهود هناك . وبذلك تم خلع الراشد بالموصل وحكم بخلعه قاضى القضاه الزينى وكان آنذاك لدى زنكى فى الموصل وخطب للمقتفى فى الموصل وسائر إمارة زنكى[4] . وأرسل المقتفى فى نفس الوقت مبعوثاً إلى الموصل ليأخذ البيعة من زنكى وأهل الشام وليطلب منه إبعاد الراشد عن الموصل[5] . كذلك أرسل السلطان سنجر رسالة يطلب فيها إبعاد الراشد

---

(١) صريفين : قرية كبيرة غناء كثيرة الأشجار قرب عكبراء على ضفة نهر دجلة .
ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٨٤ ويشير إلى أنها قد تكون من قرى واسط .

(٢) الهارونية : قرية من قرى بغداد قرب شهربان فى طريق خراسان .
ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٩٤٦

(٣) إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٨ /١٩
التاريخ الباهر ص ٥٤
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٦٨ /٧٠
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٤٠
Runciman: A History of the crusades vol 2 P 237
ولم تشر هذه المصادر إلى ماهية هذه الألقاب . ولكن إبن القلانسى يذكر فى أحداث سنة ٥٣٩ هـ أن الخليفة منح زنكى عدداً من الألقاب الشرفية على أثر إنتصاره فى الرها . ومن هذه الألقاب « الأمير الكبير العادل المؤيد المظفر المنصور الأوحد عماد الدين زنكى ركن الإسلام ظهير الأنام قسيم الدولة معين الله جلال الأمة شرف الملوك عمدة السلاطين قاهر الكفرة والمتمردين زعيم جيوش المسلمين ملك الأمراء أمير العراقين والشام أتابك أبو سعيد زنكى بن آق سنقر نصير أمير المؤمنين » .
ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٣ /٢٨٤

(٤) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٦٧
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ١٩

(٥) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٦٧

عن الموصل[1] . وعندما بلغ الراشد موافقة زنكى على خلعه ومبايعة الخليفة الجديد وصم زنكى بالغدر . فرد عليه زنكى بأنه لاطاقة له بالسلطان مسعود ، وأن المصلحة تقتضى به المضى إلى دواد بن محمود فى أذربيجان . فغادر الراشد الموصل على رأس نفر قليل وتخلّى عنه وزيره إبن صدقة[2] . وإتجه الراشد إلى مراغه فى أذربيجان حيث إنضم ألى داود ، ثم إتجه إلى أصفهان حيث قتلته الباطنية فى ٢٧ رمضان سنة ٥٣٢ هـ /١١٣٧ م[3] .

أما عن الأسباب التى دعت زنكى لإتخاذ هذا الموقف من الراشد فنستطيع أن نجملها فى أن قوات زنكى العسكرية كانت قد ضعفت خلال الصراع الطويل ضد السلطان مسعود فى الأعوام السابقة دون أن يحصل على نتيجة أو فائدة . لذلك أوضح للراشد عندما إتهمه بالغدر أنه « لاطاقة له بالسلطان مسعود » . كما أنه أدرك أن الإستمرار فى مساندة الراشد وعدم الإعتراف بالمقتفى يعنى إستمراره فى الثورة ضد السلطان مما قد يعرضه لهجوم الأخير على إمارته ، وكان السلطان مسعود يحقد على زنكى ويعتقد أنه المحرك للفتن والثورات ضده[4] . وبهذا فقد يستغل فرصة إستمرار زنكى فى تمرده ضده وبقاءه منفرداً دون مساندة الأمراء الذين إنسحبوا من أماكنهم بعد فشل الثورة فى بغداد ، ويقوم بمهاجمة إمارة زنكى . وقد أدرك زنكى أن إستمراره فى تأييد الراشد والوقوف ضد السلطان مسعود والخليفة الجديد لن يؤدى إلى

---

(١) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٥٤

(٢) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٦٧
البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٦٥
إلا أن زنكى إحتجز إبن صدقة عنه وإستوزره فيما بعد .

(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٦٨ ، ٧٦
إبن الأثير : التاريخ الباهر ص٥٤ /٥٥
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٧٠

(٤) إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٣٨
التاريخ الباهر ص ٦٥ /٦٦
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٩٠

نتيجة . إذ أن أهم عوامل نجاح الثورات ضد السلطان السلجوقى هو إنطلاقها من بغداد مقر الخلافة . وكان زنكى والراشد يفتقدان هذا العامل بوجودهما فى الموصل . هذا إلى أن أحد العوامل الضرورية لنجاح تلك الثورات كان كسب تأييد عدد من الأمراء الكبار المنشقين عن السلطان وهذا لم يتم . وبالرغم من أن ثورته السابقة كانت تمتلك العديد من هذه المزايا فقد إنتهت بالفشل ، فكيف تكون مصير ثورة تعلن فى الموصل ويكون قائدها زنكى وحده بقواته المنهكة . وكان زنكى خلال تجاربه السابقة مع السلطنة السلجوقية والخلافة العباسية قد أدرك أن توجيه جهوده فى هذا المجال سوف يُعيقه عن تنفيذ مشاريعه الأساسية الأخرى فى أطراف إمارته الشام والجزيرة ومناطق الجبال لتكوين جبهة إسلامية موحدة يضرب بها الصليبيين . لذلك قرر أن يوقف نشاطه ضد السلطان ليتهيأ من جديد للإستمرار فى تنفيذ مشاريعه التى بدأها . فبايع الخليفة الجديد وأعلن الطاعة للسلطان مسعود ، ولكنه مع هذا لم يتخذ موقفاً عدائياً ضد الراشد بل طلب منه المضى إلى حليفه الآخر داود بن محمود فى أذربيجان . وخلال صراع هؤلاء ضد السلطان وقف زنكى على الحياد ولم يتدخل قط لمعاونة السلطان بالرغم من إعلان طاعته له . وقد أدى هذا الموقف إلى تحسن العلاقات بينه وبين السلطان .

من ذلك أنه حدث فى ربيع الأول سنة ٥٣٢ هـ/١١٣٧ م أن بعث السلطان مسعود رسوله بالتشريف الكامل لزنكى ، كما وصلت إلى السلطان « كتب » نصير الدين جقر نائب زنكى يشرح له فيها أحوال الموصل[(١)] .

وفى رجب من نفس السنة أرسل زنكى قاضيه كمال الدين بن الشهرزورى إلى السلطان مسعود يشرح له خطورة الأوضاع فى شمال الشام وتهديد القوات الصليبية المتحالفة مع الروم لمدينة حلب ويطلب منه نجدة عسكرية لمجابهة هذا الخطر . وقبل أن يغادر القاضى معسكر زنكى إلى السلطان أبدى القاضى مخاوفه من هذه المهمة قائلاً « أننى أخاف أن تخرج البلاد من أيدينا ويجعل السلطان هذا حجة فيرسل قواته فإذا ما دخلوا إمارتنا إستولوا عليها » . فأجابه

---

(١) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

زنكى بأن الصليبيين قد طمعوا فى البلاد وإن هم إستولوا على حلب لم يبق بالشام إسلام وعلى كل حال فالمسلمون أولى بها من الكفار فإقتنع القاضى بذلك وإتجه إلى بغداد ، وإستطاع بعد جهد كبير إقناع السلطان مسعود بإمداده بعشرين ألف فارس . ولكن رسول زنكى مالبث أن عاد وأخبره بأن الصليبيين والروم رحلوا عن حلب وطلب منه إعادة الجيوش إلى السلطان . وقد أصر السلطان فى بداية الأمر على إرسال هذه الجيوش لمقاتلة الصليبيين مستهدفاً من وراء ذلك الإستيلاء على مناطق الجزيرة والشام التابعة لزنكى ، ولكن القاضى أقنعه بعودة الجيوش وعاد هو إلى معسكر زنكى[(١)] . وهكذا إتبع زنكى بعد صلح سنة ٥٣١ هـ الأساليب الديبلوماسية فى صلاته بالسلطان السجلوقى وتحولت سياسته تجاهه من هجوم إلى دفاع ، مما أدى إلى إستقرار العلاقات الودية بين الطرفين . من ذلك أنه حدث فى رمضان سنة ٥٣٢ هـ أن وصل إلى زنكى وهو على أبواب حمص رسول من قبل السلطان مسعود وخلع عليه[(٢)] . والمرجح أن ذلك كان لتهنئته على الإنتصارات التى حققها ضد الصليبيين عندئذ .

أما علاقات زنكى بالخليفة العباسى المقتفى فقد كانت ودية هى الأخرى وكذلك كانت علاقة المقتفى بالسلطان . وهكذا إرتبطت الأطراف الثلاثة مع بعضها البعض بعلاقات ودية وسلمية . ففى سنة ٥٣٢ هـ أرسل الخليفة إلى زنكى يطلب منه إطلاق سراح قاضى القضاة على بن الحسين بن محمد بن على الزينى الذى كان محتجزاً فى الموصل سنة ٥٣٠ هـ بسبب موقفه المعادى للراشد ، فأطلق زنكى سراحه وعندئذ غادر الزينى الموصل إلى بغداد حيث

---

(١) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٦٢ /٦٣
وهو يذكر أن الهجوم الصليبى البيزنطى على حلب كان سنة ٥٣٤ ه . ولكن جميع المصادر الأخرى تؤكد أنه حدث سنة ٥٣٢ ه .
أنظر الكامل جـ ١١ ص ٢٤
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٨٩ /٩٩
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٧٩ /٨١
(٢) إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٧
إبن العديم : زبدة الحلب ص ٢٦٩

أعيد إلى منصبه(١) . وفى أواخر رمضان سنة ٥٣٢ هـ أرسل الخليفة رسولاً إلى زنكى ليخلع عليه ويهنئه بالنصر الذى حققه ضد الصليبيين فى شمال الشام فإحتفل زنكى به(٢) . وقد بقيت العلاقة ودية بين الخليفة وزنكى وإزدادت توثقاً بعد فتح الأخير للرهًا سنة ٥٣٩ هـ /١١٤٤ م(٣) .

على أن العلاقة بين زنكى والسلطان مسعود لم تلبث أن تأزمت سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م عندما حاول السلطان الإستيلاء على إمارة زنكى والقضاء على حكمه . وكان السلطان ينسب جميع الفتن والثورات ضد حكمه إلى زنكى ويظن « أنه هو الذى يشير بذلك ويسعى إليه » . كذلك ظن السلطان أن عدداً من كبار الامراء كانوا يقتفون أثر زنكى ويتأثرون بالمحاولات التى يقوم بها ضده لما عرف عنه من الدهاء حسن السياسة وإتساع النفوذ ، فضلاً عن عظم إمكاناته المادية والعسكرية . ويبدو أن ظن السلطان بزنكى كان صادقاً إذ كان من أهداف زنكى ـــ من وراء الثورات التى أسهم فيها ضد مسعود فى عهدى المسترشد والراشد ـــ شغل السلطان بمعارك جانبية كى لاتتاح له الفرصة لتجميع قواه وتوجيه ضربته ضد حكم زنكى الذى كان يتمع بقدر من الإستقلال لايرضى طموح السلطان (٤) .

وفى سنة ٥٣٨ هـ/١١٤٣ م حاول السلطان مسعود الإستيلاء على الموصل، وذلك أن الأمير السلجوقى داود بن محمود قُتل بتبريـــز فى ذلك العـــام على أيدى الملاحدة . وإنتشرت الشائعات بأن زنكى هو الذى دبر إغتياله بالإتفاق

---

(١) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ١٣٥ /١٣٦
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٢٧
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٢٥
(٢) إبن واصل مفرج الكروب جـ ١ ص ٨٣
(٣) إبن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٣ /٢٨٤
Runeiman, A Histocy of the crusades vol 2 P 237

(٤) إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٣٨
التاريخ الباهر ص ٦٥ ، ٨٠
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٩٢ /٩٣
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٩٠

مع جماعة من حشيشية الشام عندما بلغه أن السلطان كان قد عول على إرساله للإستيلاء على الشام والمحافظة على الثغور ، مما أثار مخاوف زنكى لأنه أدرك أن تلك الخطوة سوف تقضى على مشاريعه فى الشام فأسرع بتدبير إغتياله(١) .
وكان السلطان قد أنهى نزاعه مع أعدائه وتفرغ لزنكى فجمع جيوشه وعزم على التوجه إلى الموصل للإستيلاء على إمارة زنكى والقضاء على حكمه نهائياً وضم ممتلكاته إلى دولته(٢) . ولما عرف زنكى بذلك أرسل إلى السلطان يستعطفه ويستميله فأرسل إليه السلطان « أبو عبد الله بن الأنبارى » للتفاوض معه . وإنتهت المفاوضات بعقد الصلح وإيقاف السلطان تحركاته وإقرار زنكى على إمارته . وكان من شروط الصلح أن يدفع زنكى مائة ألف دينار إلى السلطان وإستثناء صريفين من إقطاعات زنكى(٣) . كذلك طلب السلطان حضور زنكى لخدمته وإعلان الطاعة ، ولكن زنكى إمتنع وإعتذر بإنشغاله بجهاد الصليبيين لتمكن هؤلاء وقربهم من بلاده « فقبل السلطان عذره وشرط عليه فتح الرها »(٤) .

ومن العوامل التى منعت السلطان مسعود من مهاجمة زنكى خطورة الوضع فى الجزيرة وشمال الشام حيث شكل الصليبيون خطراً مباشراً على المنطقة ، وإستطاع زنكى دون مساعدة السلاطين الحد من ذلك الخطر وجعل الصليبيين يتراجعون أمامه فى كثير من مدنهم وحصونهم . فعندما عزم السلطان على ضرب زنكى أجابه مبعوث السلطان إبن الأنبارى بمعارضة شديدة من أجل إبقاء إمارة زنكى حاجزاً قوياً أمام أطماع الصليبيين . وأوضحت هذه

---

(١) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٧٧
(٢) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ١٠٥
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٣٨
التاريخ الباهر ص ٦٥
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٩٢ /٩٣
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٩٠ /٩١
(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ١٠٥
(٤) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٦٥
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٩٢/٩
Runciman: A History of crusades vol 2 P 225

المعارضة للسلطان أن الخطر الصليبي لا يقف أمامه فى المنطقة سوى زنكى وأن القضاء عليه يعنى فتح الطريق أمام الصليبيين إلى العراق . هذا بالإضافة إلى أن زنكى قام بمناورة بارعة إكتسب من ورائها عطف السلطان مسعود وصداقته ، إذ إستقدم سراً إبنه الذى كان مقيماً لدى السلطان ، فلما وصل الموصل منعه من الدخول وأعاده إلى السلطان ومعه رسول ليقول على لسان زنكى « أننى بلغنى أن ولدى فارق الخدمة بغير إذن فلم أجتمع به وردته إلى بابك » . فحل ذلك لدى السلطان محلاً عظيماً وكان عاملاً مهماً فى إستجابة السلطان لمطالب زنكى[1] . فإذا ما أضفنا إلى ذلك حصانة إمارة زنكى وقوتها المادية والعسكرية[2] أدركنا السبب فى عدم تنفيذ السلطان مسعود مشروعه . ولمّا تم الصلح بين الطرفين أرسل زنكى عشرين ألف دينار مما إلتزم بتقديمه للسلطان ، ثم أضطر السلطان إلى التنازل لزنكى عن باقى المبلغ بسبب خروج أمراء الأطراف ضده فإضطر إلى مداراة زنكى وكسب وده[3] . وهكذا إستمرت العلاقات ودية بين الطرفين وإنشغل كل منهما بمشاكله الخاصة البعيدة عن محور العلاقات المباشرة بينهما حتى مقتل زنكى سنة ٥٤١ هـ /١١٤٦ م .

---

(١) إبن الأثير : التاريخ الباهر ص ٦٥ /٦٦
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٩٣
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٩١
(٢) إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٣٨

(٣) إبن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ١٠٥
إبن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٣٨
التاريخ الباهر ص ٦٦
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٩٣
إبن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ١٩
أبو الفدا : المختصر جـ ٥ ص ٢٥
إبن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٤٤
إبن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٢٨
إبن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٦٧
إبن الشحنة : روضة الناظر ص ٢٢٢

ومن الواضح أن زنكى كان يتمتع بإستقلال كبير فى سياسته تجاه السلطان السلجوقى والخليفة العباسى جميعاً حتى غدا يشكل قوة صار لها أثرها فى الأحداث التى دارت فى العراق فى تلك الدور . ذلك أنه إتبع سياسة عدم الولاء المطلق للسلطان وإستغلال تذمر الخلفاء من السيطرة السلجوقية لضرب هذه السيطرة مباشرة . ولكنه بإتباع هذه السياسة لم يحصل على نتائج مهمة لصالحه ، بل على العكس كادت أن تهدد حكمه فى أحيان كثيرة . ولولا الدور الذى كان يقوم به ضد الخطر الصليبى مما جعل من إمارته حزاماً يدفع عن أملاك السلاطين ذلك الخطر لكان من المحتمل تعرض إمارته لأخطار بالغة من قبل سلاطين السلاجقة .

وللمؤرخ المصرى الكبير يوسف بن تغرى بردى تحليل سياسى لمكونات الدولة الزنكية التى قامت فى حلب والموصل فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر إذ قال مانصه « وبنو زنكى هم أوسط الدول فإن أول من ملك مع الخلفاء العباسيين وتلقب بالسلطان والألقاب العظيمة هم بنو بوية ، ثم أنشأ بنو بويه بنى سلجوق ، وأنشأ بنو سلجوق بنى أرتق وآق سنقر جد بنى زنكى هؤلاء »[1] .

وهكذا كانت سياسة زنكى تجاه كل من سلطنة السلاجقة والخلافة العباسية سياسة حذره تتسم بالحرص الشديد على الإحتفاظ بتوازنه فى فترة مليئة بالأحداث الجسام وفى منطقة كانت مسرحاً لنشاط العديد من القوى الإسلامية وغير الإسلامية .

ونرى أن هذه السياسة التى دأب زنكى على إتباعها تجاه سلطنة السلاجقة من ناحية والخلافة العباسية من ناحية أخرى إستنفذت جزءاً كبيراً من طاقاته وإستنفذت شطراً رئيسياً من إمكاناته ، الأمر الذى حال بينه وبين القيام بدور كبير على مسرح بلاد الشام تجاه القوى الإسلامية والصليبية سواء . لقد كان إقليم الجزيرة هو المسرح الرئيسى لنشاط عماد الدين زنكى ، ومن واقع هذه

---

(١) حسنين محمد ربيع : النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين ص ٥
إبن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٧٩

الحقيقة يمكننا أن نفسر نجاح زنكى فى الإستيلاء على إمارة الرها سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م وإستئصال تلك الإمارة التى كانت أول إمارة أسسها الصليبيون فى الشرق فى أواخر القرن الحادى عشر ، مما خلد إسم عماد الدين زنكى على رأس قائمة أبطال حركة الجهاد الإسلامى فى تلك الحقبة .

المصادر والمراجع
عربية وأوربية

إبن الأثير : أبو الحسن عز الدين على بن محمد

★ التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية
تحقيق عبد القادر أحمد طليمات
دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٣

★ الكامل فى التاريخ
١٢ جزء ، دار الطباعة بالقاهرة ١٢٩٠ هـ

البندارى : الفتح بن على محمد الأصفهانى

★ تاريخ دولة آل سلجوق ، من إنشاء عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهانى وإختصار البندارى
مطبعة الموسوعات ، مصر ١٩٠٠

إبن تغرى بردى : جمال الدين يوسف أبى المحاسن بن تغرى بردى

★ النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة
١٣ جزء ، دار الكتب المصرية بالقاهرة ٢٩ /١٩٥٦

إبن الجوزى : عبد الرحمن بن على بن محمد

★ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم
١٠ أجزاء ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٥٩ هـ

حسنين محمد ربيع : دكتور

★ النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين
مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٧

الحسينى : صدر الدين أبو الحسن على بن أبى الفوارس

★ أخبار الدولة السلجوقية (المسمى زبدة التواريخ فى أخبار الأمراء والملوك السلجوقية)

تحقيق محمد إقبال ، لاهور ١٩٤٣

إبن خلدون : عبد الرحمن بن محمد

★ العبر وديوان المبتدأ والخبر

طبعة بولاق ٧ أجزاء ١٣٨٤ هـ

طبعة بيروت ٦ مجلدات ، دار الكتاب اللبنانى ٥٦ /١٩٥٩

إبن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد

★ وفيات الأعيان وأنباء الزمان

تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد

مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٦٧ هـ/١٩٤٨ م

الدميرى : كمال الدين محمد بن موسى

★ حياة الحيوان الكبرى

نشر مصطفى الحلبى ، مصر ١٩٥٦

الذهبى : الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد

★ العبر فى خبر من غبر

٤ أجزاء ، الأول والرابع تحقيق صلاح الدين المنجد

دار المطبوعات والنشر بالكويت ١٩٦٠

والثانى والثالث تحقيق فؤاد السيد

مطبعة حكومة الكويت ١٩٦١

★ دول الإسلام

جزءان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند ١٣٦٤ هـ

سبط بن الجوزى : شمس الدين أبى المظفر يوسف

★ مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان

الجزء الثامن فى مجلدين ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٧٠ هـ/١٩٥١ م

سعيد عبد الفتاح عاشور : دكتور

★ العصر المماليكى فى مصر والشام
دار النهضة المصرية ١٩٦٥

★ الحركة الصليبية
جزءان ، مطبعة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

★ تاريخ الخلفاء
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد
الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة مصر ١٣٧٨ هـ/١٩٥٩ م

أبو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل

★ كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية
جزءان ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ١٩٥٦

إبن الشحنه : أبو الوليد محمد

★ روضة الناظر فى أخبار الأوائل والأواخر
منشور بحاشية الكامل لأبن الأثير فى الأجزاء ٧ /٨ /٩
دار الطباعة بالقاهرة ١٢٩٠ هـ

إبن شداد : القاضى بهاء الدين

★ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية
تحقيق دكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٢

إبن العبرى : غريغور يوس الملطى

★ تاريخ مختصر الدول
تحقيق أنطوان صالحانى اليسوعى ، بيروت ١٩٥٨

إبن العديم : كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله

★ زبدة الحلب فى تاريخ حلب
جزءان ، تحقيق سامى الدهان

المعهد الفرنسى للدراسات العربية ، دمشق ١٩٥٤

إبن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى

★ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب
٨ أجزاء ، مطبعة القدس بالقاهرة ١٣٥٠ هـ

أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر

★ المختصر فى أخبار البشر
مجلدان ، دار الكتاب اللبنانى ببيروت
٤ أجزاء ، المطبعة الحسينية بالقاهرة

القرمانى : أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى

★ أخبار الدول وآثار الأول
منشور فى حاشية الكامل فى التاريخ بالأجزاء من ١ /٦
دار الطباعة بالقاهرة ١٢٩٠ هـ

إبن القلانسى : أبو يعلى حمزة

★ ذيل تاريخ دمشق
تحقيق آمد روز
مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨

القلقشندى : أحمد بن على بن أبى اليمن

★ صبح الأعشى فى صناعة الأنشا
١٤ جزء ، المطبعة الأميرية ودار الكتب المصرية
القاهرة ١٩١٣ /١٩٢٢

إبن كثير : إسماعيل بن عمر الدمشقى

★ البداية والنهاية فى التاريخ
١٤ جزء ، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٣٢

المقريزى : تقى الدين أحمد بن على

★ السلوك لمعرفة دول الملوك
الجزءين الأول والثانى فى ٦ أقسام ، تحقيق دكتور محمد مصطفى زيادة
القاهرة ٣٤ /١٩٥٨
الجزءين الثالث والرابع فى ٦ أقسام ، تحقيق دكتور سعيد عبد الفتاح
عاشور القاهرة ٧٠ /١٩٧٦

إبن منقذ : أسامة بن مرشد الكنانى

★ كتاب الإعتبار
تحقيق فيليب حتى
مطبعة جامعة برنستون بالولايات المتحدة ١٩٣٠

إبن واصل : جمال الدين محمد بن سالم

★ مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب
٣أجزاء ، الجزء الأول تحقيق دكتور جمال الدين الشيال ، مطبعة جامعة
فؤاد الأول ، القاهرة ١٩٥٣
الجزءين الرابع والخامس تحقيق دكتور حسنين محمد ربيع ، مطبعة دار
الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٧٧

إبن الوردى : زين الدين عمر

★ تتمة المختصر فى تاريخ البشر
جزءان ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٢٨٥ هـ

ياقوت الحمدى : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله

★ معجم البدان
٦ أجزاء ، تحقيق فستنفلد ، ليبزك ١٨٦٦ م

Gibb : H.H.R. The Damascus Chronicle of the crusades (London 1932) .

Runciman : Steven. A History of the crusades, 3 vols (Cambridge 1957) .